نحو المجهول

مجموعة قصصية ل....

سهيلة محمد فرحان
أمواج الدليمي

العنوان: نحو المجهول
الصنف: مجموعة قصصية
المؤلف: سهيلة محمد فرحان "أمواج الدليمي"
إعـداد: م. هالة محمود
مراجعة: أ. محمد فهمي
تصميم غلاف: م. أمير عبد الوهاب
مقاسات الكتاب: 14*21
عدد صفحات الكتاب: 136
طبعة أولى: 2020
الناشر: النوارس للدعاية والنشر
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: 2020/10390
الترقيم الدولي: 978-977-6734-33-3

الإسكندرية 19 ش الحرية تقاطع الظاهر بيبرس
مركز النوارس الثقافي
ت: 01014093883 / 01228061650
Elnwares.advertising@gmail.com
للتواصل على فيس بوك
https://www.facebook.com/groups/322676661399274/

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه بأي طريقة ورقية أو إلكترونية إلا بإذن خطي ومسبق من المؤلف..

الإهـــــــــــداء

إلى عمال المطبعة المجهولين
رغم كورونا مرض العصر
وهم يخطون حروفي لترى النور
يعرفون أن الكتاب لا يحمل أسماءهم
إلى كل شخص شجعني وساندني
ولو بحرف
أقول ألف شكر

الأديبة في سطور

سهيلة محمد فرحان الفلاحي، مدينة الحبانية الأنبار، ثم مدينة الخالدية، درست في مدرسة الرياحين الابتدائية، ثم متوسطة الخالدية للبنات، ثم معهد المعلمات الأنبار، تخرجت بشهادة دبلوم وانتقلنا لقضاء الفلوجة في محافظتي الأنبار سنة ١٩٨٩، أعمامي من وجهاء المحافظة، تزوجت بعدها وانتقلت إلى

محافظة كركوك سنة ١٩٩٤، هوايتي كتابة وسرد القصة، كنت أشارك بفعاليات المدرسة من شعر وإلقاء، كما كنت من لاعبات المحافظة بكرة اليد والطائرة والسلة، في منطقتي كان هناك مكتبة حكومية نستعير الكتب منها على هوية الطالب، شاركت ببحث طلبته منا مدرسة التاريخ عن حياة القائد القعقاع، وأتذكر أعطتني درجة كاملة عن البحث؛ لأني بحثت عن عدة مصادر لهذا القائد الشجاع، كانت جدتي الداعم الأول لي، وابنة خالتي وأختي الروحية تدعمني بالكتب؛ لأنها كانت تعيش في العاصمة بغداد، كنت أحب أن أشارك بسفرات المدرسة العلمية، خاصة زيارة معرض بغداد للكتب، كان الكتاب بالنسبة لي كالهواء والماء، شاركت بجمع التبرعات في المدرسة عندما كان جيشنا يقاتل على الحدود مع إيران.. ثلاثة لا أستطيع الاستغناء عنهم قلمي وأوراقي والاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية.

في عمر الخامسة عشر كتبت في مجلة الراصد آنذاك اقتباسات من شعر نزار، فرحت كثيرا لنشرها، احتفظت بها لعدة سنين لكن بسبب الانتقالات من مكان إلى مكان فقدت الجريدة، كان حلمي أن أجمع قصصي وأضعها في كتاب والحمد لله تحقق حلمي...

اليوم الموعود

تارا فتاة في العشرين، سمراء، ذات عينين عسليتين، قوية الشخصية، تعشق المغامرة والتحدي، طالبة جامعية في المرحلة الأخيرة من كلية القانون والسياسة، من سكان المنطقة الشمالية، وبسبب دراستها للغة العربية، وظروفها العائلية، سكنت عند خالتها في العاصمة بغداد، وبعدما أنهت الدراسة اتصل جدها المهندس الزراعي فائق، ذو شخصية عنيدة لا يحب الخسارة مطلقا، من عائلة ثرية معروفة وسط المجتمع يهوى النحت، يناهز السبعين من العمر اتصل بحفيدته تارا وسألها عن موعد وصولها للقصر قال لها:

- إن أتممتِ جولاتك سأرسل لك ابن عمك حسن لإحضارك
- لا يا جدي أتمنى إن أبقى يومين لتوديع صديقاتي وزميلاتي، يا جدي أنا لم أعد صغيرة، سأعود وحدي، وأدبر أمري، وسأخبرك بكل التفاصيل لاحقاً...

ودعته بقبلة، وطلبت أن يقبل جبين جدتها خديجة المرأة الحازمة في إدارة البيت، الحنونة التي تهوى عمل الخير ومساعدة الفقراء، هي معلمة ومربية للأجيال تقاعدت وهي في عمر الستين، بيضاء اللون ذات عيون زرقاء، ولون شعرها ك الرماد رمادي اللون، معقودة الحاجبين، لديها ولدان، أبو تارا، وأبو حسن، واسمه محمود الابن الأكبر لها، أما أبو تارا مات وهو في ريعان شبابه، قتل برصاصة أطلقت على بعد مسافة، لم يتمكنوا من معرفة القاتل حينها، العائلة محافظة على العادات والتقاليد، كان والد خديجة ضابطا في الجيش، تعلمت من والدها النظام بكل مجالات حياتها، علمت تارا بما تعلمته من والدها، أما جدها فقد أنهى الاتصال بقوله:

- سنلتقي قريبا يا بنتي، أنا تعبت كثيراً وأشتاق لكِ

قاطعته تارا وقالت:

- أنت ما زلت شيخ الشباب

ضحك الجد وقال:

- إلى الملتقى يا بنتي

طلبت تارا من خالتها الخروج للأسواق لشراء الهدايا، وافقت خالتها، اشترت سترة جميلة لجدها، وفستاناً أنيقاً لجدتها خديجة، وساعة أنيقة لعمها محمود، وعطراً رجالياً لابن عمها حسن المشاكس، وبعد لف الهدايا اتصلت تارا بصديقاتها واتفقت معهن على الخروج لتوديعهن، لكنها فكرت أن تأخذهن معها إن استطاعت إقناعهن، أجرت مكالمة جماعية وطلبت منهن أن يكن ضيوفها مدة أسبوع بمنطقتها الشمالية حيث الجو الجميل ، والجبال الشاهقة، والينابيع الرائعة وغابات الجوز والرمان، والنسمات العليلة عند المساء، حاولت إقناعهن بشتى أساليب الإقناع، فجدها فائق يملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وأحواض أسماك، كانت لعمها محمود، كانت الفتيات صفاء وسلمى وغادة وعبير. صديقات تارا طيلة الأربع سنوات. رحبن بالفكرة لأن السفرة ستكون ممتعة للهو والاستكشاف، بعد موافقة الجميع اتصلت تارا بعد وصولها لبيت خالتها بعوائل الفتيات، وبعد إقناعهن طلبت من صديقاتها أن يُحضِّرْنَ أنفسهن للسفر غداً صباحاً وسوف يكون السفر في الحافلة، موعد الانطلاق الساعة الثامنة صباحا مع مجموعة من العوائل؛ لأن الطريق في المناطق الشمالية كان وعراً ومتعرجاً، حزمت تارا أمتعتها ورتبت أغراضها للسفر وعند المساء حاولت أن تودع خالتها لأنها تعودت عليها وغمرتها بعطفها وحنانها...

كانت تارا فتاة خلوقة تسمع كلام خالتها طيلة الأربع سنوات، هادئة، سعيدة بما قسمه الله لها، قالت لخالتها:

- لم أشعر باليتم يوما؛ لأن جدتي أعطتني الكثير، غمرتني بعطفها ومحبتها لي، بفضلها أتممت دراستي...

مسحت دموع خالتها بمنديلها وقالت:

- سنبقى على اتصال؛ أنا لست بعيدة

خرجت تارا مسرعة إلى غرفتها تحاول ألا ترى خالتها دموعها، اتصلت بصديقاتها وأكدت على موعد السفر، صفاء كانت ذات عيون سوداء كظلام الليل، طويلة، سمراء، تحب المرح، أما سلمى بيضاء الوجه، ذات أنف مدبب، لها خال على خدها الأيسر، تحب الرياضة، لها قوام جميل متناسق، تهتم كثيراً بغذائها، وبشرتها، أما غادة حنطية اللون، محجبة، مخطوبة لأحد أقربائها، لم يكن خطيبها مقتنعاً بفكرة سفرها وحدها، كانت ذات شخصية اتكالية، خطيبها يخاف عليها، أما عبير فكانت الرحلة بالنسبة لها أمنية، لعلها تخرج من حياتها الرتيبة المملة، ولأن الرحلة بالنسبة لها مغامرة وهي أول رحلة بدون صحبة والديها... الجميع حضر قبل موعد انطلاق الحافلة قبل الثامنة صباحاً، وعند ركوبهن توكلن على الله، انطلقت الحافلة السياحية، اتصلت تارا بجدها فائق وقالت له:

- يا جدي أنا وصديقاتي بعد خمس ساعات سنكون . إن شاء الله .
في القصر، أخبرْ جدتي بإعداد التجهيزات، واستقبال ضيوفي، وتجهيز الغرف لهن لأني دعوتهن لمدة أسبوع سيكُنَّ برفقتي للتنزه بمناطقنا الخلابة أربيل وسليمانية ودهوك، وللتعرف عليكم يا جدي

فرح الجد بسماعه للخبر ورحب بفكرتها الأنيقة، بلَّغَ جدتها خديجة أن تستعد لاستقبال ضيوف حفيدتها تارا، فأشرفت على إعداد الطعام واستقبالها لتارا حبيبة قلبها بعد غيبتها الطويلة؛ فهي مشتاقة لضمها بين ذراعيها، اتصلت خديجة بولدها محمود وأبلغته خبر رجوع تارا، فرح حسن ابن عمها بعودتها فرحا كبيرا؛ لأنها ابنة عمه الوحيدة التي رافقته إلى المدرسة أيام الطفولة، يكبرها بخمس سنوات، لم يكن يحب الدراسة؛ فلم يتخرج، اكتفى بشهادته المتوسطة، يحب حياة الحرية، يدير أعمال والده بطرق ملتوية، متعجرف، طويل، ذو بشرة بيضاء، متكبر، شعره طويل، أشقر، ذو

لحية ممتلئة، أكثر الفلاحين يشكون من سوء تصرفاته معهم، وجده غير راضٍ عنه، لا يحترم آراء الفلاحين، وهم لا يحبونه... اتصل فائق بتارا ليطمئن عليها وعلى ضيوفها من مخاطر الطريق، أخبرته بأنها قريبة، وبعد نصف ساعة ستكون في القصر. استعد الجميع لاستقبالهن، الحارس والمربية والخادمة والطاهية، كان الحارس يسكن على بعد أمتار من القصر في بدايته هو وعائلته المكونة من أربعة أشخاص أما المربية امرأة عجوز أكبر من جدتها ببضع سنوات، تسكن داخل القصر مع الخادمة قرب المطبخ في غرف مجهزة، أما الطاهية كانت تُحضر الطعام للقصر منذ الصباح حتى المساء، القصر ضخم فيه مساحات كبيرة للعب بكرة السلة، فالجد يهوى هذه اللعبة، أما الدور الثاني للقصر كانت هناك عدة غرف وممرات في الطابق السفلي للقصر على مر السنين كان الجد فائق يرمم القصر ويجدد أثاثه، كما يوجد داخل القصر مكتبة كبيرة، وممرات طويلة تنتهي بسراديب أغلقها الجد يوما؛ بسبب حادثة هزت أركان القصر آنذاك، أما السرداب فهو عبارة عن غرف تحت الأرض بنيت أثناء الحرب العالمية الثانية؛ للاختباء من قصف الطائرات والمدافع كان يعد مكانا آمنا لهم. استقبلتهن الجدة بابتسامة فيها حب واشتياق لتارا، دخل الجميع إلى القصر، عرفتهن الجدة على أفراد القصر، ومن ضمنهم الحارس وعائلته المكونة من أربعة أشخاص وزوجته، ومربية تارا والخادمة والطاهية التي تطبخ لهم أروع الطبخات، كانت الفتيات غير مصدقات لما رأين وسمعن كأنهن في حلم، الجو رائع وجميل، والجبال متناسقة تحيط بالقصر من كل الجهات. حضر الجد فائق على عجل، رحب بضيوفه واعتذر عن التأخير؛ لأنه لم يصل في موعد وصولهن، قبلت تارا جدها وجدتها، ظلت تحدثهم عن جمال العاصمة بغداد، وعن الأشياء التي بقيت في ذاكرتها، كما حدثتهم عن حنية خالتها وزوج خالتها عليها، بعد تناول الجميع الطعام طلبت الجدة خديجة من تارا أن تأخذهن

إلى غرفهن؛ ليرتحن من عناء السفر وأخبرهن الجد بأن هناك مفاجأة لهن غدا، تحمس الجميع لفكرة الجد، قالت تارا:

- غداً سيكون حافلا بالمفاجئات الشيقة

صعدت تارا مع صديقاتها للطابق الأعلى من القصر وعرفتهن على مكان كل منهن، صفاء وسلمى تسكنان في غرفة، وعبير وغادة في الغرفة المجاورة لهما، بعد عناء السفر ذهبن جميعا للراحة، أما تارا نزلت إلى أسفل القصر، اشتاقت لرؤية غرفة والدتها، وذكرياتها معها عندما كانت طفلة، تجولت قليلا في أروقة القصر ثم صعدت إلى غرفتها، وبعد ترتيب أغراضها ذهبت للنوم، أما صفاء فقد فتحت شباك الغرفة واسترسلت هي وسلمى بنوم عميق، أما غادة كانت مشغولة باتصالاتها، وعبير تستمتع بمنظر الجبال وسماع الموسيقى الهادئة، كان الجو متقلبا، ساعات الليل يكون الجو باردا، وفي النهار معتدلا، وبعد ساعات استسلم الجميع لنوم عميق حتى الصباح، صاح الديك معلنا يوما جديدا.

نهضت تارا كعادتها كل يوم في الساعة الثامنة صباحا، بعد تناولهن وجبة الإفطار وممارستهن التمارين الرياضية، بكل نشاط ذهبت تارا مع صديقاتها لتسأل عن أحوال الحارس وزوجته، وعن مربيتها، وأحوال الفلاحين، شكرها الحارس وزوجته والمربية والخادمة على سؤالها، ثم اتجهت نحو جدها ليضمها بين ذراعيه وطلبت منه أن يجهز لها المكتب كما وعدها، ابتسم فائق وأخبرها بموقع المكتب الذي كان في وسط المدينة، قفزت من الفرحة وهي تضمه بقوة وشكرته على هديته القيمة، قال سيكون اسمك معروفا لدى الجميع، المحامية تارا محمد فائق هدفك سيكون لنصرة المظلومين طلب الجد من الفتيات تحضير أنفسهن للرحلة، بعد ارتداء ملابسهن وصلت العربات إلى القصر تسحبها الخيول؛ ذلك لأن المنطقة الشمالية تتصف بكثرة تعرجاتها وضيق شوارعها، بدأت الرحلة والفتيات يلتقطن الصور وهن فرحات بما يشاهدن من جمال

الطبيعة، نزلت صفاء وسلمى من العربة تتحديان سائق العربة بالفوز عليه بالجري، قَبِلَ السائق التحدي، وظل يسرع والفتيات يسرعن أكثر إلى أن وصلوا المكان الذي اختاره الجد، المكان رائع، نصبن الخيمة، جهزن الطعام جلس الجميع للاستمتاع بالمناظر الخلابة، في الجانب الآخر كان حسن يراقب تارا من بعيد هي وصديقاتها، يملك منظارا يتتبع من خلاله حركاتهن من لعب وقفز وجري، بدأ الجميع بتحضير سفرة الطعام، قامت عبير وسلمى بالشواء، أما غادة وصفاء ذهبتا للتسلق ، وبعد عدة دقائق كانتا على قمة الجبل التقطتا بعض الصور للذكرى، ثم قامتا بالنزول إلى الأسفل بهدوء، وبعد تناول وجبة الغداء ذهبن لرؤية النهر، بعد الاستمتاع بجولتهن عُدنَ إلى القصر وصعدت الفتيات للأعلى، توجهن إلى غرفهن، اتصلن بعوائلهن؛ للاطمئنان، أثناء نزول تارا سمعت صوت جدها وهو يحاور حسن ابن عمها في غرفة المكتب، يصرخ ويخاطبه بصوت مسموع:

- لماذا يا حسن تفعل أشياء تزعجني؟

ظلت تارا واقفة خلف الباب لم تجرؤ على الدخول ومقاطعتهما أخبره حسن أن ما يفعله مع الفلاحين هو الصواب، انزعج الجد لأنه يعلم بأن الفلاحين لا يملكون نقودا ليدفعوا له إيجار الأراضي إلا بعد بيع المحاصيل الزراعية واستلام المبالغ، تذمر حسن وخرج مسرعا من الغرفة وإذا به يصطدم بتارا، سلمت عليه وقالت:

- كيف حالك يا حسن؟
- الحمد لله.. وأنتِ ما أخبارك؟
- "مبتسمة" تمام

ذهب حسن وتذكرت تارا تاريخها مع حسن، فهو منذ طفولته أناني لا يحب سوى نفسه، كان دائما يسرق أشياءها رغم أنه يملك الكثير من اللعب، تذكرت كيف تم حبسها في السرداب لمدة ساعات كانت تتوسل إليه، لكن دون جدوى، ساومها على ساعة اليد التي أهدتها

لها والدتها بعد نجاحها من المرحلة الابتدائية بتفوق قبلت عرضه لأنها كانت تخاف من الأماكن المظلمة، عرفته بشعاً، استغلالياً، ربما كان يعاني من حالة نفسية دخلت تارا غرفة المكتب في محاولة منها تغيير نفسية جدها، وإذا بحسن يدخل عليهما فجأة، فزعت تارا لدخوله؛ لأنها كانت تتكلم عن حسن وتصفه بالشرير نسى حسن هاتفه وعاد لأخذه وبعدما خرج سألت لجدها:

- هل سمعني حسن وأنا أصفه بالشرير والمجنون؟
- لا أعتقد.. كان مسرعا، اذهبي للنوم وغدا نكمل حديثنا

خرجت تارا من غرفة المكتب وهي تحدث نفسها، شدها منظر القصر، كانت تشعر بأرواح تسكن فيه كأنها تسمع همساتهم، التفتت يمينا ويسارا ثم صعدت إلى الطابق الأعلى إلى غرفتها، تمددت على سريرها كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، صفاء في الغرفة المجاورة لها وهدوء يعم القصر، خرجت صفاء من غرفتها لأنها تشعر بأرق وضيق في صدرها، مشت دون أن تصدر أي صوت؛ كي لا تزعج أحداً وهي تسير في ممرات القصر، لمحت أحداً يراقبها التفتت بسرعة لم تجد أحداً، قالت:

- ربما يخيل لي أني لمحت أحداً

أخذت نفسا عميقا وأكملت المسير، قالت تحدث نفسها:

- لا يوجد شيء يدعو للقلق والخوف

ظلت تمشي إلى أن رأت الممر بدأ يتعرج ويضيق لمحت بابا صغيراً في نهاية الممر مقفلاً بقفل كبير ذي سلاسل حديدية، أخذها فضولها وأمسكت القفل بيدها محاولة فتحه، بمجرد هزها للسلاسل وبسرعة البرق ضربها شخص على رأسها، وقعت على الأرض فاقدة الوعي، ارتطم رأسها بالأرض، انقطعت الكهرباء عن القصر لمدة نصف ساعة، لم يشعر أحد بانقطاع الكهرباء، شعرت تارا بالعطش استيقظت من نومها وهي تبحث عن هاتفها، لأن الغرفة كانت مظلمة للغاية، فتحت مصباح الهاتف شعرت بقليل من البرد لأنها

نسيت غلق نافذتها المطلة على حديقة القصر، اتصلت بجدها فائق لمعرفة سبب انقطاع الكهرباء عن القصر، لكن جدها لم يجب على اتصالها، ذهبت إلى الحمام الذي كان يبعد عن غرفتها مسافة أربعة أو خمسة أمتار وبيدها مصباح هاتفها، إذا بها تشم رائحة غريبة، أخذتها ذاكرتها عندما كانت طفلة في ذلك اليوم الذي قُتل فيه والدها، حاولت أن تتذكر خانتها ذاكرتها ربما في ذلك اليوم ارتطمت بأحد كان يملك هذا العطر، أو ربما كان عطر أبيها، لم تتذكر عادت إلى غرفتها مسرعة عاودت الاتصال بجدها وإذا به يجيبها أخبرته فقال:

- حسنا يا عزيزتي سنعرف سبب الانقطاع

نزل إلى الطابق الأرضي كل شيء هادئ، تأكد من مفاتيح الكهرباء بنفسه، كل شيء تمام، لكن هناك شخص أنزل المفتاح مما تسبب في انقطاع الكهرباء عن القصر، لم يعلم من هو، شعر بالقلق لم يحدث هذا أبدا! اتصلت سلمى بتارا تسألها عن سبب انقطاع الكهرباء وقالت:

- هل صفاء عندك؟ لأني نهضت من فراشي ولم أجدها، وهي غير موجودة بغرفة عبير وغادة تأكدت منهما، أنا قلقة عليها اتصلت بها لا تجيب، لا وجود للشبكة إنها خارج التغطية جهازها مغلق

عم القلق والخوف، عادت الحياة للقصر بعد رجوع الكهرباء، نهض الجميع للبحث عنها اتصلت تارا بجدها فائق وأخبرته باختفاء صفاء! نهضت الجدة خديجة بعد سماعها الخبر، تفاجأت بالخبر وطلبت من جميع العاملين في القصر بالبحث عنها، صرخت وقالت أريد الفتاة قبل طلوع الشمس، ربما خرجت من القصر وضلت طريقها، أجابها الجد:

- كيف تخرج من القصر وكل الأبواب مغلقة؟

هنا قاطعته خديجة وقالت بصوت عالٍ والخوف يملؤها:

- ربما أخذتها أقدامها إلى الممرات والسراديب؟!

أخذت تارا الفتيات عبير وسلمى وغادة للبحث عنها داخل القصر، والجد والجدة والحارس خارج القصر، الكل كان يدعو الله أن تكون صفاء بخير، أكملت تارا المسير هي وصديقاتها والخوف يملأ قلوبهن!! مَشَيْنَ في نفس الطريق الذي مشت فيه صفاء في ذلك الممر الضيق إلى أن وصلوا إلى ذلك الباب المقيد بالسلاسل، لا وجود لشيء، كان السرداب مغلقاً بقفل كبير عادت تارا مع صديقاتها للطابق الأسفل لم يلاحظن وجود أي شخص، توترَ الجميع، بكت سلمى، وانهارت عبير وغادة، صرخت تارا مستغيثة بجدها، صرخت بوجه جدها.. أين اختفت صفاء؟ حضر الجد والجدة من خارج القصر بعد ساعات من البحث لم يعثروا على أي دليل يدلهم على وجودها، سأل الجد الحارس وزوجته إذا كانا قد رأيا أو سمعا شيئا، لكن الحارس أقسم للجد بأنه كان جالسا منذ صلاة العشاء لم يفارق مكانه مطلقا! تعجب الجد وراح يضرب بيديه ويقلب فيهما، بدأت علامات القلق والاكتئاب تغمره، تغير لون الجدة، ظهرت عليها علامات التوتر؛ لأن الفتاة كانت أمانة عندهم ماذا سيقولون لأهل الفتاة، وإذا أبلغوا الشرطة ماذا يقولون لهم، وكيف يتصرفون، أسئلة تدور في رأس الجد دون أجوبة، دعا الله أن يسترهم...

ظلت تارا تبحث في كل مكان حتى الصباح، تعب الجميع من البحث، جلسوا حول المائدة طلبت خديجة من الخادمة أن تحضر لهما الإفطار، ظلت تارا تبحث لعلها تجد خيطا يوصلها لحل لغز الاختفاء؟ وجدت بابا آخر في الطابق السفلي وقالت بصوت مسموع لِمَ كل هذه الأبواب والأقفال؟! ربما هناك سر لا أعرفه، ظلت تسير محاولة أن تكشف اللغز، مشت في ممر طويل بسرعة تحاول أن تصل إلى نهايته لعلها تجد دليلا كأنها في متاهة وجدت نفسها بالجانب الخلفي للقصر، خرجت إلى الساحة الخلفية للقصر كان هناك باب كبير ضخم مغلق لأنه يعتبر نهاية حدود القصر، الجبال كانت تحيط به من كل الاتجاهات، عادت تارا إلى داخل القصر،

ذهبت إلى غرفة المكتب تحاول أن تجد خارطة القصر القديمة لمعرفة سر الأبواب المغلقة، لم تجد الخارطة، صاحت على جدتها حضرت إلى غرفة المكتب، ظلت تحقق معها عن سر الأبواب المغلقة، حاولت الجدة أن تحتفظ بسر الأبواب لكن تارا أرعبت جدتها وقالت لها:

- **عليك أن تخبريني سبب إغلاق الأبواب بالأقفال والسلاسل قبل قدوم الشرطة لأني طلبت من جدي إبلاغ شرطة المدينة للبحث عن صفاء، إنها جريمة قتل أو خطف لا يعلم بها أحد سوى الله**
- **ربما خرجت من القصر**
- **هي لا تعرف أحدا هنا، وكيف تخرج في ساعة متأخرة دون علم أحد؟ وأغراضها ما زالت في غرفتها**
- **هي ليست إبرة لتختفي من القصر وكيف تختفي بهذه السهولة والحارس جالس منذ المساء أمام القصر**
- **ربما سافرت صفاء إلى مكان آخر أو هربت من شيء لا نعرفه**
- **أريد مفتاح باب السرداب الذي في نهاية الممر صرخت مذعورة لا يا بنتي لا تقلبي عليَّ المواجع أرجوكِ ابتعدي عن ذلك المكان الملعون**

فتحت عينيها في ذعر كأنها ترى شيئا وقالت:

- **قبل سنين عدة كان لي بنت عمرها خمس سنوات تلعب هنا في هذا المكان، لم نكن حينها نعلم بوجود الممرات والأبواب، كان هنا ممر متهالك يؤدي إلى مجاري القصر، وتأخذك إلى النهر لم أعلم بوجودها، ذهبت طفلتي ضحية لهذا النهر غرقت ولم نعلم بغيابها، كنت مريضة حينها؛ لأني كنت حاملا بوالدك، وكان جدك خارج المدينة، أخذها الله منا، شاء القدر أن تعبر هذا الممر اللعين، أخذتها الأمواج إلى قرية قريبة من القصر، حزنت كثيراً والحادثة هزت المدينة الكل كان يبحث عنها،**

وجدوها جثة بقرب شجرة عملاقة، التف شعرها الذهبي بأحد أغصانها..

بكت الجدة وكأنها تشاهد جثة ابنتها الآن، اعتذرت تارا من جدتها لأنها ذكرتها بتلك الحادثة وقالت:

- لماذا لم يخبرني أحد بهذه القصة؟

عادت إلى السرداب المغلق وقالت:

- هذا السرداب يا جدتي يذكرني أنا أيضا بحادثة لن أنساها على مر السنين، أعطني مفتاح السرداب وسأخبرك بما حصل؟

كان مفتاح باب السرداب تلفه جدتها حول عنقها أخرجت المفتاح وفتحت الباب، وإذا بالفوضى تعم الغرفة، أغراض، وأشياء مبعثرة قديمة، رأت ساعتها صرخت، جفلت جدتها وقالت لها:

- ماذا وجدت؟
- ساعة أمي

أخبرت جدتها بما فعله حسن معها، وكيف أغلق الباب عليها وراح يساومها على ساعة يدها، المرصعة بالأحجار الكريمة والتي أهدتها لها والدتها لتفوقها في دراستها، قالت تارا:

- أعطيته الساعة مقابل حريتي، كنت أخاف من الأماكن المظلمة والمغلقة، كان بيده المفتاح وأغلق علي باب السرداب، صرختُ دون مجيب توسلت إليه أن يفتح الباب وأعطيه ساعتي كما طلب وفتح لي الباب، أخذها وهرب، أغلق الباب وطلب مني ألَّا أخبر أحدا بالحادثة
- إذا كان حسن أخذ ساعتك في حينها، إذاً من أعادها لهذا المكان، وأنا منذ سنين عديدة أدخل وحدي هذا المكان دون أن أرى هذه الساعة

راحت الجدة تحدث نفسها أيعقل أن شخصا آخر يحمل نفس هذا المفتاح؟! أو ربما حسن يملك مفتاحا آخر، فرمى الساعة وهرب، أو ربما يدخل ويخرج ونحن لا نعلم، لبست تارا الساعة وقالت:

- فرحت كثيرا لعودة أمي معي، الآن أشعر بأنها تمسك يدي

بحثت يمينا ويسارا لعلها تجد شيئا، لكنها لم تجد أخبرتها جدتها بسرها وقالت:

- هنا أدفن مجوهرات عائلتي، إنها لكِ يا تارا بعد موتي، ورثتها عن أمي، وأمي ورثتها عن جدتي وهكذا ستصبح لك إنها داخل هذا الصندوق، خذي المفتاح واحرصي عليه من السرقة، فأنا لم أعد قادرة على تنظيف المكان، لا يعلم أحد بوجود المجوهرات سوى أنت وجدك.
- هيا نخرج من هذا المكان لعلهم وجدوا صفاء ونحن هنا منذ ساعة..

أغلقت الباب وخرجت تارا وجدتها من ذلك المكان إلى المطبخ، حيث كان يقابل الممر، احتفظت بالمفتاح لأنها أمانة حملتها تارا نزولا على رغبة جدتها، اتصل الجد فائق بالشرطة حضر رجال الأمن والضابط المحقق المسؤول عن أمن المدينة، دخل مكتب الجد ونادى عليهم، بدا يسأل صديقاتها كل واحدة على حدة للوصول إلى لغز الجريمة وحلها، شرح الجد بالتفصيل ما جرى في ذلك اليوم، أخذ أقوال الفتيات وقال هناك جريمة قتل منظمة، وإخفاء الضحية، صرخت الفتيات، أيعقل أن صفاء قتلت؟! كيف ولماذا ونحن ضيوف هنا لا نعرف أحداً، علينا إخبار عائلتها، رفض المحقق إخبار عائلتها وقال:

- علينا أن نتأكد ونتريث

انتشرت الشرطة في كل مكان بعدما حضرت للقصر، تم أخذ بصمات الجميع، وبعد فحص المكان من جميع الجهات، جلس الرائد المحقق بغرفة المكتب ونادى على الست خديجة سيدة القصر، كان المحقق ذا شخصية قوية يناهز عمره الأربعين، بدأ بالسؤال:

- ست خديجة حدثيني بأمانة هل تشكين بأحد من داخل القصر أو خارجه؟ هل أرسل أحدٌ لكم رسائل تهديد بالقتل أو بالخطف؟

- يا سيدي ليس لدينا أعداء
- كيف وقبل سنوات قتل ابنك محمد، من قتله ولِمَ قُتل، وقيدت الجريمة ضد مجهول؟

ردت خديجة والحزن يملأ قلبها وقالت:

- يا سيدي ولدي محمد الجميع يحبه والجميع يشهد بأنه كان ذا خلق حسن، وجميع الفلاحين والخدم يحبونه نحن ورثنا الأخلاق الحميدة من أجدادنا، الكل يعرفنا لم نعادِ أحداً في يوم من الأيام، بل كنا للفقراء العون والسند أما ولدي فكل شيء حصل كان قضاء وقدر، ولا أحد يختار قدره، خرج من القصر، وبعد ساعات سمعنا صوت طلقات نارية، بعد قليل جاءنا الخبر بموت حبيبي ولدي محمد

بكت خديجة، تذكرت مشهد محمد وهو يغرق في دمه وقالت:

- والدة تارا لم تتحمل المشهد، ماتت بالسكتة القلبية كانت تعاني من نوبات الصرع التي لازمتها منذ ريعان شبابها، كانت حالتها النفسية يرثى لها، عندما رأته بذلك المنظر لم تتحمل توقف قلبها فجأة؛ لأنها كانت تعشقه وتحبه، أبو ابنتها تارا
- بعد التحري اكتشفنا أن هناك آثار أقدام في الحديقة الخلفية، آثاراً لقدم كلب دخل من الخلف ما قولك؟
- في ذلك اليوم كل شيء كان رائعا وكان القصر هادئا لم نسمع لأي صوت

نادى على الجد فائق ، خرجت خديجة من غرفة المكتب، وسأل المحقق فائق عن جيرانه، وعلاقته بهم، بينما كان الرائد يحقق مع أفراد القصر كانت الشرطة منتشرة بالقصر ومعهم الكلاب البوليسية؛ للبحث عن الضحية، بعد لحظات دخل أحد الضباط وأخبر المحقق بعثورهم على الضحية مرمية بين المجاري البعيدة عن القصر مدفونة هناك، الكلاب عثروا على الجثة كانت مشوهة من الضرب، بعد ضربها تم الاعتداء عليها جنسياً، وبعد اكتشاف مكان

الجريمة اتضح لهم بأن هناك أنفاقاً داخل القصر، والمجرم يعرف أماكن الأنفاق والممرات السرية، كان القاتل يعرف المكان أكثر من أصحاب المكان، عند عثور الشرطة على الجثة أرسلت إلى الطبيب الشرعي وبعد الفحص اتضح أن المجرم ضربها ضربة قوية على الرأس، كانت الضربة من الخلف، بعدها حملها الجاني وسحبها إلى داخل النفق وتم الاعتداء عليها جنسياً، كان القاتل يعرف المكان ولديه مفاتيح تفتح كل الأبواب المغلقة! قال المحقق:

- **يا أستاذ فائق هل كنت تعرف بأن للقصر عدة مخارج؟**
- **في قديم الزمان كان القصر للحكومة البريطانية تم إنشاؤه وفق معايير عسكرية والمهندس حينها كان ذكيا في تصاميمه أذهل الجميع وصمم الأنفاق والممرات والسراديب للحماية والفرار من الأعداء، ولقد تم إنشاؤه في ثلاثينات العقد الماضي، ويعد من القصور التراثية، شهد الحرب العالمية الثانية وكنت معجبا ببنائه اشتراه أبي، وحافظت عليه من الانهيارات، كنت دائما أرممه، فيه ذكريات طفولتي وشبابي وشيخوختي! لكن قبل أشهر فقدت خارطة القصر القديمة، احتفظت بها بين كتبي في مكتبة القصر لكني لم أبالِ، قلت ربما نسيتها في مكان ما**

سرح فائق قليلا وقال في نفسه "لا أحد يدخل ويخرج سوى حسن والخدم أيعقل أن يكون السارق والقاتل هو حفيدي حسن! قال لا لا، لا يعقل، استفزه المحقق وقال:

- **هل القاتل من أفراد عائلتك؟ وأنت تعلم يا سيد فائق أن التستر على المجرم جريمة؟**

سأله المحقق:

- **بمن فكرت؟**

أجاب بسرعة:

- **لم أفكر بأحد**

طلب من فائق الخروج.. نادى الشرطي على محمود وعائلته، دخل

محمود إلى غرفة المكتب، بدأ المحقق يسأله:

- **أين كنت في تلك الساعة من حدوث الجريمة؟**
- **كنت في فراشي بعدما أنجزت أعمالي، أما ولدي حسن كان مع أصدقائه في مدينة أخرى تبعد عن مدينتنا بعدة ساعات...**

قاطعه المحقق:

- **ولدك حسن هو الوحيد الذي يعرف أنفاق القصر، وهو الوحيد الذي يدخل ويخرج، وربما يملك نسخاً احتياطية لمفاتيح القصر يستطيع حسن بعد إتمام سهرته في تلك المدينة أن يخرج ويصل في الساعة الثالثة صباحا والناس نيام، يقطع مفاتيح الكهرباء وينتظر ضحيته أو ربما عاد للقصر ليسرق شيئا وعند رؤيته للفتاة حدث شيئا لم يكن يتوقعه! فخاف من الفضيحة قتلها بعد ما اعتدى عليها ورماها في أحد الأنفاق، وعاد إلى تلك المدينة ليظهر للناس براءته من أي تهمة، وهو الوحيد الذي يمتلك كلبا، وفي مسرح الجريمة ظهرت آثار كلب**

انهار محمود وصرخ:

- **لا ابني لا يستطيع أن يقتل حشرة أتتهمه بغير دليل!**

تعالت الأصوات في غرفة المكتب، سمعت تارا، طرقت الباب، استأذنت من الشرطي الذي يقف أمام باب المكتب وأخبرته بأن يبلغ المحقق بوصول أهل الفتاة المغدورة صفاء، خرج محمود وطلب المحقق بالجلوس مع عائلة الفتاة، حضر والد صفاء وجلس مع فائق وتارا وصديقاتها، بكى والد صفاء وطلب من المحقق القصاص العادل للمجرم، كما طلب بتتبع ملف القضية والوصول للقاتل بأسرع وقت، طلب فائق من والد صفاء بأن يرتاح قليلا من عناء السفر.. اعتذر من والد صفاء لعدم صيانته للأمانة، كان يبدو على الجميع التعب والحزن، خديجة المرأة القوية ارتفع عندها السكر من الصدمة، كانت تعاني من بعض المشاكل الصحية، حضر للقصر طبيب العائلة ونصحها بالراحة، الفتيات في حالة خوف ودهشة،

تارا شحب وجهها لكنها ما زالت صامدة قوية، تحاول أن تكشف المجرم وأن تعرف دوافعه ونواياه، نادى المحقق على حسن وبعد حضوره سأله المحقق باستفزاز وقال له:

- أنت ذكي جدا يا حسن، كنت تحاول أن تقتل شخصا آخر، وتسرق شيئا مهما، لكن شاء القدر أن تخرج صفاء من غرفتها في تلك الساعة وتكون ضحيتك، لأن ذلك لم يكن بالحسبان فأردت أن تتخلص منها بسرعة قبل طلوع الشمس، حتى لا تكشف سرك للجد وللحفيدة تارا، قتلتها.. غيرت خطتك، كانت الفتاة جميلة، سولت لك نفسك أن تعتدي عليها وترميها بأحد أنفاق القصر، وتعود بسيارتك للمدينة عند أصدقائك

صرخ حسن:

- لا يا سيدي لم أقتل أحدا أنا كنت مع أصدقائي في أحد مطاعم المدينة، بعدما تناولنا العشاء، خرجنا للتنزه، تعاقدت معهم لعمل صفقة تجارية، ذهبت بعدها للنوم عند بيت صديقي فلان ابن فلان تستطيع يا سيدي أن تتأكد من كلامي...

ببنما كان الضابط يبحث عن الأدلة وبحضور والد المغدورة صفاء، طلب والد صفاء أن يأخذ جثة ابنته من المستشفى وأن يعيد الفتيات إلى عوائلهن، انتشر الخبر في صحف المدينة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، حادثة القصر، وطالب الجميع بأقصى درجات العقوبة للقاتل الذي دمر مستقبل الفتاة، وحرق قلب والديها، وافق المحقق بأخذ أقوالهن وبصماتهن لكن طلب من الجميع عدم السفر لأي مكان ربما يتم استدعاؤهم مرة أخرى، ظل أهل الفتيات بحالة قلق وخوف.. وبعد موافقة الشرطة تم أخذ الجثة من المستشفى وتهيأ الجميع للسفر، وفي تمام الساعة التاسعة مساء وبعد انتهاء كافة الإجراءات القانونية تم توديع الست خديجة والجد فائق، اعتذر فائق من والد صفاء وراح يؤنب نفسه، لكن والد صفاء رجل

مثقف وقال إنها مشيئة الله، ولا حول له ولا قوة إلا بالله، إنها إرادة الله! ودعت تارا الفتيات سلمى وعبير وغادة، قبَّلت الجميع، صعد الفتيات إلى الحافلة متوجهات إلى العاصمة لتشيع جنازة صفاء، كان المحقق يشتبه بالحارس وحسن! أجَّل التحقيق للغد. لم تسطع تارا النوم، شعرت أن القصر تسكنه الأشباح روح والدتها، وصفاء، ووالدها، حاولت أن تنام ولو لدقائق لأن صداعا أرهقها. عند الصباح أعدت الطاهية الفَطُور، حضر المحقق وتناول كوباً من الشاي مع الجد فائق، طلب حضور زوجة الحارس، وبعد محاولته استدراجها في الكلام اتضح أن زوجها الحارس ترك مقعده ودخل إلى البيت وقالت:

- كان الجو بارداً في منتصف الليل، ولأنها كانت متعبة لم تحدد الساعة، أخذ غطاء وعاد إلى مكان جلوسه

قال الضابط ربما تآمر مع شخص لسرقة مقتنيات القصر، خرجت زوجة الحارس بعد انتهائه من سؤالها، نادى على الحارس بدأ كعادته بالاستفزاز لكي ينهار ويعترف قال له:

- كيف تجرؤ على قتل الفتاة، لا أحد سواك في تلك الليلة كان يجلس أمام باب القصر، ولا أحد غيرك يعرف مكان مفاتيح الكهرباء

هنا قاطعه الحارس وقال:

- سيدي هناك مفتاحان للكهرباء داخل القصر وخارجه عندما انقطعت الكهرباء عن القصر كنت متعباً سهوت ونمت قليلا، لكن الساعة كانت في يدي، لم أنم كثيرا يا سيدي إنها بضع دقائق

صرخ الضابط في وجهه وقال بصوت غاضب:

- هذه الدقائق راحت ضحيتها الفتاة وأنت تغط في نوم عميق، ربما تكون أنت المجرم رأيتها عند دخولك للقصر للسرقة، قطعت الكهرباء لكي تخفي معالم وجهك، خفت أن تكشفك،

طاردتها وضربتها على رأسها، وبعد الضربة الأولى اعتديت عليها وسحبتها

- ورميتها خارج القصر
- لا لا يا سيدي أنا لم ارتكب أي جريمة في حياتي إني أخاف الله يا سيدي، تستطيع أن تسأل عني أنا وزوجتي لا نتعدى حدودنا، نحن نعمل خارج القصر، لا نعرف كم عدد غرف القصر، ولا يهمني معرفة ماذا يوجد فيه، نحن يا سيدي حياتنا بسيطة ولا نطلب من الله غير الستر، وإذا كان لديك دليل لاعتقالي، أنا مستعد للمحاكمة وأنا متأكد بأن الله سينصرني؛ لأني لم أؤذِ أحدا
- هل تتهم أحدا من داخل القصر؟
- لا.. الخادمة امرأة عجوز تناهز السبعين من العمر ليس لديها أولاد، خدمت القصر أربعين سنة ورداً لوفائها بتربية محمد ومحمود وافقت الست خديجة ببقائها معهم لأمانتها، ولأنها بدون عائلة أو أقارب، أما الطاهية مريم، فهي أم لثلاثة أولاد كانت والدتها سابقاً تخدم في القصر طاهية، تحضر الطعام للمدعوين، وبعد وفاة والدتها طلبت مريم بأن تأخذ مكان والدتها؛ لأنها تعلمت منها أصناف الطعام منذ الصغر؛ ولأنها تحتاج نفقات علاج لزوجها قررت أن تعمل في القصر منذ الصباح حتى الساعة السادسة مساء، ومريم كانت نشطة في ريعان شبابها، مطيعة، نظيفة، تلبي جميع الطلبات؛ لأن الست خديجة كانت توزع الطعام للفقراء في كل المناسبات الدينية

طلب المحقق من الحارس الخروج، وقال الكل مشتبه ربما تكون الطاهية لأنها تحتاج المال لعلاج زوجها اشتركت مع أي شخص ونفذ المهمة بدافع السرقة، طرقت تارا باب الغرفة ودخلت على المحقق وهي تحمل بيدها فنجان قهوة وقالت:

- سيدي المحقق أنا المحامية تارا تخرجت من كلية القانون

بتفوق، أطالب سيادتكم بقبولي معكم لكشف الجريمة، ونبحث معا عن القاتل لأن صفاء أختي قبل أن تكون صديقتي، ذكرياتي معها طيلة الأربع سنوات كان حلمنا أن نتخرج معا ونمسك القضايا ونكون محاميات مشهورات، من واجبي معرفة المجرم ومحاكمته بأقصى العقوبة

طلب المحقق من تارا المساعدة وقال لها:

- بلغيني بأي شيء عن الخدم أو أي شخص تشكين فيه من داخل القصر، أنا أشك في الجميع لعدم وجود أدلة في الوقت الحاضر لأن البصمات ما زالت في المعمل الجنائي وعلينا التريث في إصدار القرارات حاول أن يسألها عن الفتيات وعلاقتهن بصفاء، وقال:
- ماذا تعرفين عنهن، ربما دليلٌ واحدٌ نصل به إلى نهاية الجريمة
- علاقتنا ببعض كانت جيدة لا غبار عليها
- ربما هن من تآمرن عليها
- يا سيدي لا وجود لدافع القتل حضرن معي للنزهة والاستجمام والفكرة كانت فكرتي، لكني تذكرت شيئاً في تلك الساعة من اختفاء صفاء، اتصلت بي سلمى سألتني هل صفاء معي في الغرفة؟ فأجبتها لا.. ثم خرجت من غرفتي للبحث عنها وتفاجأت بغادة تغتسل في تلك الساعة لكني لم أبالِ بالموضوع، كان المكان مظلماً سألتها إن كانت تحتاج منشفة قالت لست بحاجة لشيء، بعدها اتصلتُ بجدي وسألته عن سبب انقطاع الكهرباء
- ربما صديقتك متورطة بالجريمة واغتسلت لتخفي آثار الجريمة
- يا سيدي هي لا تعرف ممرات القصر ولا تعرف أحداً لتتآمر معه على قتل صفاء، هي تعاني من مشاكل عائلية لكنها لا تستطيع قتل نملة، كنا نسميها في الجامعة العقل المفكر، لا يمكن أن تكون قاتلة، ربما تملك القليل من الغيرة، والأنانية، لكن..
- دافع الغيرة يعتبر دافعاً كافياً للقتل

سرحت تارا وتذكرت حادثة الجامعة، حين فرقت بين أيمن وهالة بدافع الغيرة، تكلمت عن الفتاة وشوهت سمعة الشاب أيمن، وبعد محاولتنا الكشف عن أسباب اتهامها لهما بكل بساطة قالت لأنهم أغبياء يصدقون ما يقوله الناس، وأنا لا أحب الأغبياء...

قال المحقق:

- تعبنا من الأسئلة والأجوبة، من حق أجسادنا الراحة

تعبت تارا أفكارها مشوشة، اتصلت بصديقاتها لتطمئن عليهن، بعدها اتصلت بوالدة صفاء وتكلمت معها، ودعت من الله أن يلهمها الصبر على ما ابتلاها، اطمأنت على جدتها، قبلتها وتوسدت ذراعيها وقالت لها جدتها:

- تستطيعين اليوم النوم بجانبي إن رغبتِ البقاء معي، لربما أحتاجك

نامت بقرب جدتها، شعرت بالأمان لم تستفق من نومها إلا بدخول جدها عليها وقال لها:

- انهضي يا بنتي المحقق عاد إلى القصر وطلب رؤيتك
- حسناً يا جدي سأغير ملابسي دقائق وأكون هناك

خرج جدها بعد لحظات أعدت للمحقق فنجاناً من القهوة، توجهت إلى غرفة المكتب، رحبت به وقالت:

- سيدي بالأمس تذكرت شيئا ربما يفيد القضية، في تلك الليلة المشؤمة عند خروجي من الغرفة كانت الرؤية معدومة شممت عطراً لم يكن غريباً بالنسبة لي لأن هذه الرائحة ظلت عالقة في ذاكرتي، ذكرتني بذلك اليوم الذي قتل فيه والدي، كنت صغيرة

صرخ المحقق:

- وجدتها

اندهشت تارا وقالت:

- كيف يا سيدي

سأفتح تحقيقاً لمعرفة قاتل أبيكِ، هناك حلقة وصل بين الجريمة الأولى والجريمة الثانية، لو كشفنا لغز الجريمة الأولى سنعرف حل الجريمة الثانية، اندهشت تارا وقالت:

- كيف؟
- أحتاج مساعدتك يا تارا وأنتِ حلفتِ يميناً بأنك ستكونين بجانب الحق والعدل مهما كانت الظروف

هزت رأسها وقالت:

- أكيد..

قال بصوت خافت:

- الأدلة لا يعلم بها سوى جدك وجدتك، يخفون شيئاً عن قاتل والدك لأن جدك لم يفعل المستحيل لمعرفة من قتل ولده، هناك لغز في الموضوع، حاولي أن تسحبي معلومات عن قضية والدك من جدتك؛ لأنها الأقرب لك حاولي أن تعرفي مِن الخدم، من تلك الخادمة العجوز؛ فأنا لم أستجوبها لأنها كانت مريضة، كما قالت جدتك ربما تخفي شيئاً من الماضي عليك معرفته

بعدما أتفق المحقق مع تارا لإظهار الحقيقة، وبعد حجز الحارس وابن عمها حسن، تدهورت الأوضاع بين محمود والجد فائق، وعانت الجدة من سوء حالتها الصحية وخوفها من فتح الملفات القديمة، دخلت تارا إلى غرفة جدتها لتسألها عن سبب موت والدها، كانت خديجة في تلك اللحظة تتحدث مع فائق وتقول:

- من يجرؤ أن يدخل القصر ويخرج منه دون علمنا، لا يمكن أن يكون غريباً، إنه من منطقتنا ويعرف ممرات القصر بل ربما يملك مفتاح القصر
- هل تشكن بأحد؟

ظلت تارا أمام غرفة الجدة تسترق السمع لحديثهم قالت:

- لا علم لي أخاف أن أتهم أحدا ويكون بريئا

انتظرت قليلا بعدها طرقت باب الغرفة تستأذن.. دخلت، حاولت

أن تلطف الجو وتغير الموضوع خرج فائق من الغرفة، ذهب إلى خارج القصر، سألتها جدتها إذا كانت تريد أن تنام معها في الغرفة، قالت:

- لا يا جدتي.. الأرق يقتلني
- واضح على وجهك يا تارا
- يا جدتي الكوابيس تلاحقني أينما ذهبت

خرجت تارا من غرفة جدتها ونزلت بهدوء إلى الطابق السفلي، اتجهت إلى غرفة الخادمة العجوز، لم تجدها في غرفتها اتجهت إلى المطبخ، ولأنها كانت تمشي على أطراف أصابعها كأنها إحدى راقصات الباليه؛ لم تشعر مريم بقدوم تارا، سمعت مريم وهي تلعن ذلك اليوم الذي حضرت فيه إلى القصر، كانت تتحدث مع العجوز خادمة القصر سابقاً، خرجت سهوا كلمة قالتها مريم:

- ما ذنبي بقتل صفاء وما ذنب الحارس المسكين، ونحن نعرف الذي دبر الجريمة كان يقصد تارا وليست صفاء

صُدمت تارا، تفاجأت حين قالت كما يدين يدان!! قالت العجوز:

- وما ذنب تارا
- وما ذنب ابنتك
- حسبي الله، والد تارا محمد أغوى ابنتي، كانت ما زالت طفلة يهديها بأغراض ثمينة، لم أكن أعرف نواياه، كنت أقول بأنه يعاملها كما يعامل ابنته

تارا أخذت نفساً عميقاً، كانت تشعر بالاختناق لكنها حاولت أن تسمع المزيد قالت العجوز لمريم:

- كانت ابنتي في ريعان شبابها في الرابعة عشرة عندما حاول محمد الاعتداء عليها، كشفته زوجته والدة تارا بمحاولته، وطلبت مني أن آخذ ابنتي وأرحل من القصر، لكني كنت لا أملك مال، خفت على ابنتي، أخبرت الست خديجة بم حدث، أنكر وقال لها أنه يهتم بها لأنها فقيرة لكن أم تارا تغار منها لهذا

تتهمني، حاولي أن تسألي الفتاة، سألت خديجة والدة تارا عن سبب اتهامها للفتاة، أخبرتها أنها تراقبه منذ مدة وهو يحاول التقرب منها بكل الأشكال، وابتعد عنها ولم يعد يحبها كالسابق

تحسرت العجوز وقالت:

- أبلغت خديجة لتخبر ولدها بأن ابنتها مخطوبة لابن عمها وقلت رغم أننا فقراء لكن شرفنا أغلى من كنوز الأرض، عليه أن يحترم زوجته ويحترمني لأنني عاملته ك أحد أبنائي، تدهورت علاقته بوالدة تارا

سمعت تارا الحديث والدموع تنهمر على خدودها لكنها لم تقاطعهما في الحديث، بل ظلت تسمع المزيد قالت مريم:

- ماذا حصل بعد ذلك
- كنت في ذلك اليوم مشغولة جداً بتنظيف القصر وترتيبه وكانت في ذلك اليوم والدتك مريضة، وكانت الست خديجة مشغولة بدعوة أقربائها لتناول العشاء في القصر، أما والدة تارا أخذت علاج الصرع ونامت، طلبت مني أن أراقب تارا، إذا استيقظت من النوم للعب معها، أما ابنتي زينب صعدت للطابق الأعلى لتنظيفه وترتيبه، كان محمد يراقب حركاتها، دخل عليها وقال لها بأنه متيم بها صدقت بعدما اشترى لها عقدا، كذب عليها وصدقت كلامه بأنه سيتزوجها وأخبرها بأن زواجه منها سيكون سراً إلى أن يعترف للجميع بالخبر ولأن زوجته مريضة لا يحب أن يخسرها ويخسر تارا وأخذها في ذلك اليوم واعتدى عليها، لم تخبرني، كان القصر مليئاً بالمدعوين، والكل يبحث عن محمد اختفى وابنتي اختفت هي الأخرى، كانت المناسبة عيد رأس السنة، دخلت إلى غرفة زوجته للبحث عنه لم أجده، عدت لأخبر الست خديجة عن اختفائه، رأيت ابنتي زينب تخرج من السرداب وحدها سحبتها من شعرها، حاولت أن أعرف منها ماذا كانت تفعل هناك تهربت من السؤال، لم أستطع فعل شيء

وقلت لها بعد خروج الضيوف سوف أحاسبك بعد قليل رأيته يخرج من السرداب ويتلفت يميناً ويساراً وكان بيده مفتاح السرداب وقفت أمامه وقلت له ماذا كنت تفعل بابنتي في السرداب، حاول أن يتهرب ويكذب ويقول أنا لم أر زينب، لكني قلت له أنا رأيتها خرجت قبلك ألا تعلم بأنني أراقبها، وقلت له ابنتي مخطوبة لابن عمها فلا تحاول الاقتراب منها، بعد خروج المدعوين من القصر سحبت ابنتي لأعرف ماذا كانت تفعل معه خافت منّي وقالت أنه تزوجها سرا وسيعلن قريبا زواجه منها، صعدت إلى خديجة وأخبرتها، صاحت خديجة على محمد تشاجرت معه وطردته من القصر، لم أكن أعرف بأنه أخذ منها أغلى شيء تملكه بكارتها استغل غباءها وطيبتها عندما علمت ابنتي بطرده من القصر كانت تفتح له باب القصر دون علمنا، يدخل ويخرج ولا أحد يعلم به، أخبرت عمها إذا كان يريدها لولده إبراهيم أنا موافقة ليحضر ويأخذها، وأخبرت ابنتي صرخت وقالت لن أتزوج غير محمد أنا لست عذراء يا أمي، محمد عاهدني بالزواج أمام الله وأنا قبلت، لم أتصور بأن محمداً الإنسان الخلوق أمام العالم بأنه سيخون الأمانة، لم تخبرني بما كان يفعله معها، وأنا كنت دائما مشغولة بأعمال القصر، لم أكن أتخيل أنه يلتقي معها في السرداب، الغرفة التي تحت الأرض، عقل ابنتي صغير، صدقت ما كان يقوله سآخذك ونهرب من هنا لا تخبري أحداً بسرنا، صدقت ابنتي، لم تكن تعلم بأنه سيتخلى عنها ويغدر بها ضربت بكلتا يدي على وجهي عند سماعي الخبر وقلت لها وأنا أبكي كيف وأنا أخبرت عمك بأنك موافقة على زواجك من ابن عمك إبراهيم سيحضر غدا، صرخت ابنتي وقالت: سأقتل نفسي، ضربتها وصعدت للطابق الأعلى وقلت للست خديجة ما فعله ولدها بابنتي في السرداب لكني تفاجأت من ردها لي محاولة أن تشتري شرف ابنتي بالمال

وطلبت مني أن أزوجها بسرعة من إبراهيم وهي ستتكفل بمصاريف الجهاز والعرس وقالت هذه ليست غلطتنا كان عليك أن تحرصي أكثر على ابنتك، أخبرتك زوجة ولدي بأن محمداً يحاول أن يتقرب من ابنتك وأعترف أن محمداً غلطان لكنني عاقبته وطردته من القصر احتراما لكِ لكن ابنتك لم تحترمك وتحترم قراري، فتحت له الأبواب في ساعات متأخرة من الليل، هذا ذنب لا يغتفر ابنتك هي المذنبة وعليك تأديبها، كان كلام خديجة صحيحاً، لم أجرؤ على مناقشتها، اتصلت ابنتي بمحمد وأخبرته بقراري بزواجها من إبراهيم وطلبتْ منه أن ينفذ وعده بالزوج منها سراً، وأن تهرب معه لأي مكان يحدده ، لكنه نزع القناع من وجهه وقال : أنا لا أستطيع حالياً أن أرتبط بكِ، وفكرة زواجك من ابن عمك أحسن لك ولي سأعينه حارساً وستبقين قريبة مني، وأنا سأتكفل بكل شيء لكني لا أستطيع أن أتزوج من خادمتي وقال ألف مبارك، أغلقت الهاتف وصرخت زينب وأنا كنت في غرفة تارا، جُنَّت ابنتي بعد سماعها ما قاله محمد لها ، وقفت في منتصف القصر وبصوت عالٍ قالت محمد يا أم تارا زوجك اغتصبني وطلب مني ألا أخبر أحداً إلى أن يأتي اليوم الذي يأخذني ونهرب، سمعت أم تارا الخبر تشنجت من الصدمة وأغمى عليها، اتصلت والدتك بمحمد أبو تارا حضر نظرت ابنتي له نظرة غضب واستحقار انهارت ابنتي وأخبرت الجميع بما قاله محمد لها قالت يا أستاذ محمد كنت تعلم أني ابنة خادمة وأغويتني بكلامك المعسول وأنا من غبائي صدقتك، لكن كنت أنا طفلة في الثانية عشرة من عمري كنت ألعب مع لعبتي أخذتني إلى ذلك السرداب وقلت لي تعالي لنلعب معاً لم أكن أعرف شيئاً، دمرتني إلى أن عرفت ما كنت تفعله معي، حرام.. لم أستطع أن أخبر أحدا، بعدها قلت لي ستتزوجني، اليوم تقول لي تزوجي من ابن عمك ونبقى معا كما في السابق، لا

يا سيدي أنا لست بمومس، ركضت إلى السرداب لم يكن مغلقا في السابق بل كنا نضع فيه الأشياء التراثية القديمة وقتلت نفسها في ذلك المكان لم نستطع إسعافها لأننا لو نقلناها لأي مستشفى سيحققون عن أسباب ضربها لنفسها، طلبت مني خديجة أن نكتم على الموضوع خوفا من الفضيحة كل شيء مضى سريعا خسرت ابنتي وأنا أيضا خفت على سمعتي ماذا أقول لعمها وابن عمها ، وسيقول لي أهل القرية أنني لم أعرف كيف أربيها، حل المساء، الجميع منهار من الصدمة، حضر فائق وطلبت خديجة من كل العاملين في القصر بالتكتم عن الموضوع أرسلت محمداً ولدها لمدينة أخرى، عند المساء وفي تمام الساعة العاشرة أخذوا جثة ابنتي بعدما تم فحصها من قبل طبيب العائلة اتضح أن ابنتي كانت حاملاً منه، أخذتْ خديجة الطبيب وقالت له لا أريد أن يعلم أحد شيئاً بما أخبرتني به، أخذوا جثة ابنتي ودفنوها في مقبرتهم، فطلبت مني خديجة وفائق اعتبار ما حصل هو قضاء الله وقدره، وعلينا تقبله، طلب مني فائق إنهاء خدمتي عندهم لكني ترجيتهم أن أبقى لآخر عمري بجوار ابنتي حبيبتي وافقت خديجة وبقيت هنا أموت كل يوم حين أنظر إلى محمد، لم يكن يحضر كثيرا للقصر؛ لأن أم تارا طردته هي الأخرى من حياتها

كانت تارا تسمع القصة من خلف الباب وهي ترتجف من هول ما تسمعه، سألتها مريم ماذا قلت لعمها؟ وابن عمها؟ أجابتها:

- **اعتذرت منهم وقلت البنت حين أخبرتها عن زواجها لابن عمها تشاجرت معي لأنها غير راضية عــن الزواج بعدها قتلت نفسها**
- **وهل اقتنع عمها**
- **لا أعلم حينها، لكنه تشاجر معي وطلب مني أن يرى مكان قبرها وأنه سيبلغ شرطة المدينة، هدأته السيدة خديجة؛ لأن الفضيحة ستكون للجميع وسوف يُسجنُ ابنها محمد على**

فعلته، حاولت أن ترشيه بالأموال وأقنعته بأن أهل القرية إذا علموا أن ابنة أخيه قتلت نفسها فستكون الفضيحة أكبر بالنسبة له، سكت عمها وأخذ ولده ورحل
انصدمت تارا في الجميع وقالت كيف لم يعاقب أبي على فعلته؟
ظلت العجوز تتذكر وتتأفف وتضرب بيديها مائدة الطعام، سألتها مريم وقالت:

- ماذا حصل بعد ذلك؟
- اتصل بي سرا وطلب مقابلتي، خرجت من القصر سرا دون علم أحد، أمسكني من يدي بقوة وقال لي: إنه يعلم ما حصل في القصر في ذلك اليوم لأن فائق أعطاه بعض الدنانير ليسكته، لكنه رفض أن يأخذه، وقال سآخذ بثأر ابنة أخي يوما ما، أما أنتِ حسابك سيكون عسيراً لو نطقت بحرف لأحد عما دارَ بيننا، أرعبتني نظرات عينيه، كان يملؤها الكره والحقد، عدت إلى القصر وبعد عدة أيام من حادثة ابنتي، سمعنا صوت إطلاق نار قريب، اتضح لي أن إبراهيم دبر كميناً لمحمد، ضربه ليغسل عاره، وصل الخبر "الأستاذ فائق"، الست خديجة أصابتها حالة هستيرية لم تصدق ما حدث، ظلت تولول، من يجرؤ على قتل ولدي قطعة من كبدي، حينها قلت: ألم تكن ابنتي حبيبة قلبي، كان محمد في ذلك اليوم يمرح مع الفلاحين ويضحك و إبراهيم يراقبه من بعيد، ابنة عمي ألم تكن بشراً؟ اليوم يا زينب سآخذ بثأرك، كان في شدة الحزن، والغضب والحسرة، على ابنةُ عمهِ التي كان يحبها من طرف واحد، هي لم تكن تعلم وكان يعد الأيام والسنين لرؤيتها بجانبه عروساً، يحلم ويحلم وعندما علم بالخبر من والده قرر أن ينتقم لشرفه وشرف عائلته.. قتله وهو يبتسم وقال: نامي يا زينب ارتاحي أخذت بثأرك، بعدها اختفى إبراهيم عن الأنظار هرب إلى الدول المجاورة بطرق غير مشروعة عن طريق البر واختفى، في سري كنت فرحة جداً بما فعله، لكني

تذكرت ابنتي وبكيت مع خديجة لم أبكِ على ولدها بل بكيت على ابنتي، لم يعثروا على دليل قتله قيدت الجريمة ضد مجهول آنذاك! لكن في الحقيقة جميع من في القصر كان يعلم من قتله، حضر محمد وهو غارق في دمه، عند سماع أم تارا الخبر أصيبت بنوبة وقف قلبها فجأة، صار العزاء عزاءين، خيم على القصر الحزن، وأشباح الماضي تطاردنا أنا وخديجة، انتهت مراسم الدفن مرت الأشهر والسنون، أعادت تارا البسمة للقصر، كبرت، أعطت خديجة كل وقتها وحنانها لحفيدتها

قاطعتهما تارا دخلت فجأة وقالت:

- الحمد لله الذي دفعني في هذا الوقت للحديث معكما لكن الله اختصر لي كل الأسئلة وعرفت كل شيء منكما وبدون قصد، لكني تعمدت أن أعرف المزيد بدون مقاطعتكما في الكلام

قالت العجوز:

- ويلي ماذا فعلت أنا، تارا اسمعيني يا بنتي

صعدت تارا وكانت تتكلم بصوت مسموع:

- الآن يا جدتي عرفت لماذا كان أبي بعيداً كل البعد عن أمي! واليوم علمت أن أمي لم تكن مريضة بأي داء لكن أبي دمر نفسيتها بابتعاده عنها

خديجة كانت في صدمة! أكملت تارا حديثها وقالت:

- قتل أمي، وقتل زينب، وروحاً في بطن زينب، كل هذه الجرائم حدثت في هذا القصر اللعين ولم تخبريني به

ظلت خديجة في دهشتها قالت تارا:

- أنا سأكمل يا جدتي بقية القصة، عند خروجنا للنزهة علم أهل القرية بوصولي للقصر وربما هناك ثأر قديم، لأن أبي لم يكن إنسانا، فجاء أحد إلى القصر وأراد أن يأخذ بثأره مني لأني ابنة محمد! لكن من لطف الله لم أكن أنا الضحية بل كانت صفاء

ولأن القاتل لم يعرف شكلي رأى صفاء واعتقدها تارا وفعل ما فعل بصفاء

اتصلتُ بالمحقق وأخبرتُه ما عرفتُه، حضر المحقق للقصر مسرعاً وأحضر معه نتائج الفحص، دعا المحقق إبراهيم وبعد عدة أسئلة واستفسارات اعترف إبراهيم بفعلته بقتل والد تارا وغسل العار، كما كان يقول للمحقق، لكن إبراهيم رجل عجوز لن يستطيع أن يقتل ويعتدي على شابة مثل صفاء، لكن المحقق بعد عدة تحريات دعا ابن إبراهيم لطرح بعض الأسئلة عليه، وعلم ابن إبراهيم أن أباه سيقضي بقية حياته في السجن، حضرت تارا غرفة التحقيق شمت العطر صرخت وقالت للمحقق:

- **إنه القاتل..**

ارتبك الفتى، قالت:

- **في ذلك اليوم من الجريمة وعندما ذهبت إلى الحمام كانت الرؤية معدومة لكن حاسة الشم عندي قوية، هذا هو من قتل واعتدى على صفاء إنه عطره وأنا متأكدة مما أقول**

بكى إبراهيم وقال إنه ذنبي أنا، لأني زرعت في قلب ابني الحقد والانتقام، وها أنا اليوم أحصد ما زرعته، تطابقت البصمات، خرج حسن من الحجز ومعه الحارس حسن الذي حمدَ الله على ظهور براءته وعاهد الله أن يكون إنساناً صالحاً لن يؤذي أحدا، كان الحجز له درساً، شكر المحقق تارا لتعاونها معهم في كشف الحقيقة، اعترف ابن إبراهيم بجريمته، طالبت تارا بأقصى العقوبة للمجرم، كرهت القصر، عرضته للبيع بعد موافقة الجد والجدة، انتقلت إلى المدينة، واشترت شقة قريبة من مكان عملها، كثرت الدعاوي بسبب كشفها للجريمة وصارت محامية معروفة ومشهورة سكنت مع جدها وجدتها، نجحت وتزوجت من زميل لها وحضر كل من عمها وحسن لتهنئتها.

****

رحلة إلى الهاوية

ذات يوم كان القمر بدراً، والجو جميلا، عائلة أسامة المكونة من أربعة أولاد، يعيشون حياة رتيبة، الأولاد يذهبون إلى مدارسهم، والأب والأم إلى عملهما، ذات يوم جلس الجميع أمام مائدة الإفطار، قالت سارة وهي البنت البكر:

- متى ياأبي نذهب إلى الساحل صديقاتي يتحدثن عن جمال الأجواء هناك، مللت من الحياة الروتينية ومن المدرسة ومن كل شيء

قال أسامة والد سارة:

- أعدك يا سارة انت وإخوتك إذا كانت درجاتكم في نهاية العام جيدة سآخذكم رحلة إلى الساحل، ونبقى أسبوعين نفرح، ونمرح

فرحت سارة واستأذنت بالانصراف من المائدة، قبَّلت والدها، اتجهت إلى الباب، نادتها والدتها وقالت:

- أين قبلة ماما يا سارة

عادت مسرعة وقبلت والدتها، نادت على أخوتها تامر وعلاء ورنا:

- وصلت حافلة المدرسة

كان تامر أصغر من سارة بسنتين، وعلاء أصغر من تامر بسنة واحدة،

أما الجميلة المدللة رنا كانت أصغر من الجميع، لم تشملها الدراسة، بل كانت في رياض الأطفال، سارة بيضاء، عمرها سبعة عشر عاما، شعرها ذهبي كشعاع الشمس، عيناها جميلتان كزرقة البحر، يبدو على وجهها الشحوب والتعب، فهي تمارس الرياضة بشغف؛ لأنها بطلة المدرسة في الجري أما تامر أسمر اللون كوالده، ذو نظرة حادة، قليل الكلام، يحب كرة القدم، أما علاء حنطي، طويل القامة رغم صغر سنه، لكنه أطول من أخيه تامر يحب الرسم بالرمال، وسارة تشجعه باستمرار على الإبداع، أما رنا الجميلة المدللة آخر العنقود، فهي المقربة لوالديها، تحب الموسيقى، ركبوا الحافلة كعادتهم كل يوم والأب والأم إلى عملهما يمارسان أعمالهم، مرت الشهور، وبعد انتهاء العام الدراسي وبتفوق، قرر والدهم أن يفاجأهم بالرحلة إلى الساحل.. وبعد قطع التذاكر وحجز المكان، جاء موعد السفر، أخبرهم بالمفاجأة فرح الجميع وبدأوا بتحضير أدوات السفر وجمع الألعاب أخبرهم بموعد السفر وقال:

- **غدا صباحا موعدنا إن شاء الله، سننطلق إلى الساحل، وصيتي لكم احترام الكبير والاستماع إلى آراء الجميع، إذا حدثت أي مشكلة عليكم إبلاغي أو والدتكم**

كانت والدتهم في المطبخ تعد لهم طعام العشاء، ورنا تحاول مساعدة والدتها وقالت:

- **أنا زعلانة من أبي**
- **لماذا يا حبيبتي**
- **أبي يمنعني من السباحة في البحر**

ابتسمت والدتها وقالت:

- **لا تقلقي سنعوم سويا أنا وأنتِ حين وصولنا للبحر!**

دعتهم رنا للحضور إلى مائدة الطعام، حضر الجميع وبعد انتهاء الطعام ذهب الجميع إلى غرفهم للنوم، أما والدتهم جهزت لهم أنواع الفطائر؛ لأن رحلتهم طويلة، تقريبا خمس ساعات بالحافلة، كان

موعد الحافلة في السابعة صباحا مع مجموعة من العوائل، كانت الليلة هادئة وجميلة، سماء صافية ونجوم متلألئة تطرز سماء المدينة، الأولاد ناموا ولم يستفيقوا إلا على صوت المنبه، هذا الصوت لم يكن المنبه بل صوت والدهم! نهض أسامة لصلاة الفجر هو وزوجته ليلى، بعد انتهائها ذهبت ليلى لتحزم حقيبة الملابس، وحضرت الفطائر؛ لأن الرحلة للساحل طويلة وربما يشعرون بالجوع أثناء السفر، أما أسامة ذهب إلى غرفة الأولاد وهو يمسك صافرته، ظل يصفر حتى نهض الجميع وصاح هيا استعداد، قفز الأولاد وهم فرحون وكل واحد منهم ذهب يحضر أغراضه، بعد خروج سارة من الحمام، رتبت غرفتها وغرفة إخوانها، نزلت مستعدة للرحلة، خرج الجميع من المنزل ينتظرون الحافلة بلهفة، وصلت الحافلة جلس أسامة بجانب ليلى، وتامر بجانب علاء، ورنا بجانب سارة، انطلقت الحافلة، الأولاد كانوا طوال الرحلة يتذكرون قصص المدرسة ويضحكون، رنا نامت على كتف سارة، التفت الأب ليطمئن على أولاده ، الجميع بخير، أما سارة كانت تضع سماعة الهاتف على أذنيها؛ لتستمتع بصوت الموسيقى الهادئة، وانتقلت مع الموسيقى لعالم آخر، كانت سارة فتاة خيالية تحب الهدوء، كانت تخبر معلمتها بأنها تحس بالحوادث قبل وقوعها، كانت الفتيات في الفصل يعلمون بذلك، كانت تخبر صديقاتها بأنها أحيانا تسمع أشياء، وتحلم بأشياء، بعد فترة من الزمن ترى الأحلام صارت حقيقة، بعض الفتيات كُنَّ يخفن منها؛ لأنهن يعتقدن أنها حالة نادرة، أو صديقة للجن ربما! بعد ثلاث ساعات في الحافلة وقفت أمام مطعم ضخم، نزل الجميع لتناول وجبة الفطور، كانت الساعة العاشرة صباحا، بعد الانتهاء استعد الجميع وانطلقت مرة أخرى وبعد استمتاع الجميع بالمناظر الجميلة وبالقرى والمدن التي كانت في طريق رحلتهم لم يشعروا بالوقت.

وصلت الحافلة في الثانية بعد الظهر كان الجو حارا جدا نزل الجميع،

كانت المدينة السياحية نظيفة وجميلة، هناك فندق ضخم وأسواق، ومحلات، كما كان في منتصفه منتزه، وألعاب، ومجموعة دور صغيرة أمام البحر، الساحل مزدحم بالسيارات، والدراجات، ظلت سارة مبهورة بجمال المكان هي وإخوانها، نزل السواح للفندق أما أسامة وليلى كانا مشغولين بإتمام إجراءات الحجز، استلم مفتاح الدار، المنزل أمام البحر بيت صغير، مكون من ثلاث غرف صغيرة، ومطبخ، وحمام، هناك عربات لنقل السواح لمكان إقامتهم، استقلت عائلة أسامة العربة، كانت المسافة بضع دقائق، الجو حار نسبة إلى البحر، الشمس تنثر أشعتها للبحر، يتكون البخار فيكون الجو حاراً رطباً، الكل ذهب إلى الحمام للاغتسال، نهضت ليلى لإعداد الفطائر مع الشاي، قال أسامة:

- لنرتح قليلا، وفي المساء نخرج للتسوق يا ليلى

أما الأولاد فكانوا ينظرون إلى البحر من شرفة البيت بمنظارهم، سارة تساعد والدتها في ترتيب الأغراض، رنا كانت تستمتع بمشاهدة الرسوم المتحركة، أسامة ذهب للنوم في تمام السابعة، قبل غروب الشمس خرجت العائلة للاستجمام بعدما اتفقوا بعدم السباحة في الأماكن البعيدة، قال والدهم:

- تمتعوا بيومكم وإذا شعرتم بأي تعب، اذهبوا إلى المنزل وانتظرونا هناك، أنا ووالدتكم سوف نمشي قليلا، وبعدها نذهب للتسوق وإذا حدث أي مكروه لا سمح الله، اتصلوا بنا

وافق الجميع على الفكرة، انطلق الأولاد وهم يركضون على الرمال، وقفت سارة أمام البحر وهي تتأمله وتلتقط بعض الصور، فالبحر بالنسبة لها غموض الحكايات القديمة والكثيرة، راحت تتأمل زرقة المياه التي تعكس زرقة السماء الصافية، منظر القوارب الشراعية التي تجوب البحر، كان الساحل مزدحماً بالناس، نبه المسؤولون بعدم ترك الأطفال يغوصون في الأماكن الممنوعة، توجهت سارة للعب مع اخويها تامر وعلاء، وبدأ التحدي فيما بينهم ، تحدى تامر

سارة بالجري وفازت سارة؛ لأنها بطلة الجري أما ليلى وأسامة كانت الرحلة تجديداً لذكريات زواجهما، فقي كل ركن من أركان المدينة السياحية كانت هناك ذكرى جميلة، كانت ليلى ممتلئة القوام، ذات روح فكاهية تحب النكتة، تحب زوجها، وأسامة يحبها ويحترمها؛ لأنها كانت له وطنا تضمه في كل حالاته، غربت الشمس كأنها معزوفة رائعة، البحر يحضن الشمس وأمواجه تعزف أجمل النغمات، نهضت سارة للعودة إلى المنزل لم تشعر بأحد من حولها ارتطمت بشخص لا تعرفه ضخماً مخيفاً نظر لها بتعجب وسألها:

- هل أنت وحدك
- لا.. أنا مع عائلتي

اعتذر منها؛ لأنها وقعت على الأرض دون قصد منه، نظفت ملابسها من الغبار وأكملت المسير إلى البيت،

وصلت سارة إلى المنزل، تامر وعلاء كانا مستلقيين على الأرض؛ لمشاهدة التلفاز، سارة سألت علاء وتامر عن رنا قال تامر:

- كانت تلعب معنا وصعدت إلى غرفتك للعب بأغراضها

بعد قليل صعدت سارة، طرق باب البيت رجل يناهز الخمسين من العمر، قوي ذو عضلات، خطوط وجهه كانت بارزة، شكله كان مريبا بالنسبة للأولاد، قال الرجل:

- هل والدك موجود؟ طلب مني أن أحضر له أدوات الصيد
- لا غير موجود لكنه على مقربة من البيت

شعر تامر وعلاء بالخوف، كان الرجل يحاول أن يدخل إلى المنزل، لكن تامراً وضع يديه وقال:

- يا عم غداً إن شاء الله.. تعال لترى أبي
- دعني أدخل وأنتظره
- لا.. لا أسمح للغرباء بالدخول

فجأة أحس بالخوف وأغلق الباب، الرجل ظل واقفا أمام الباب، سمعت سارة ما دار بينهما، اتصلت بوالدها وأخبرته عن الرجل

وإصراره على الدخول، كان أسامة يجلس مع زوجته في مطعم الفندق عند سماعه بالخبر من سارة، وقف وقال:

- هيا يا ليلى انهضي لأن الأولاد يشعرون بالجوع

أخذا الطعام إلى البيت، واستقلا عربة خيل، كانت سارة تشعر بحدوث شيء مرعب، لأن حاستها السادسة، تخبرها بالأشياء قبل وقوعها، أغلقت الباب بالمفتاح وأغلقت النوافذ، لم ترتح لذلك الرجل، عاد أسامة وزوجته بسرعة، طرق الباب، دخلا المنزل، راح تامر يصف الرجل لوالده وأسامة يبتسم ويقول:

- لا وجود للمجرمين، هذه المنطقة آمنة يا ولدي، لكنكم متعبون وتتخيلون كثيرا

ليلى تبحث عن رنا:

- رنا أين أنتِ

نزلت من غرفة سارة وهي تضع المكياج على وجهها، ضحك الجميع وقالت والدتها:

- ماذا فعلتِ بوجهك؟ تعالي واغسليه

دعت الجميع لتناول الطعام، بعد انتهائهم صعدت سارة إلى غرفتها، جلس الأولاد مع والدهم لمشاهدة كرة القدم، ليلى ورنا كانتا في المطبخ، اتصل أسامة بالرجل كان هاتفه مغلقا، سارة عند صعودها جلست في شرفة الغرفة قليلا، سمعت صوت شجار كأنه يأتي من الشقة التي أمام منزلهم، سمعت أصوات شجار وصراخ أطفال، لكنها لم تبالِ ربما رجل وزوجته هذا ما اعتقدته، أغلقت الشباك، كانت تسمع أصوات الأمواج كأنها موسيقى، ورائحة البحر العطرة تملأ المكان سكون، ونجوم مضيئة، اتصلت بصديقاتها أخبرتهن عن جمال المنظر، وأنها تفتقدهن فكم كانت تتمنى صحبتهن، أغلقت الهاتف وذهبت إلى النوم، نامت وبعد ساعة صعدت رنا ونامت في سريرها بجانبها، صعد الأولاد إلى النوم، أغلقت الأنوار، نهضت سارة على صوت منبه هاتفها، كانت السابعة، شربت كأساً من الحليب

الدافئ، خرجت للجري حافية القدمين كأنها تسابق الأمواج، رآها الرجل الذي اصطدم بها ونادى عليها:

- يا فتاة

وقفت سارة هذه المرة، حاولت أن تكون قوية وقالت:

- ماذا تريد مني يا رجل؟ هل تعرفني؟
- لا.. لكن أمس عندما اصطدمت أضعت أوراقاً مهمة

قاطعته قائلة:

- أنت اصطدمت بي ولا علم لي بأوراقك، أخبر شرطة الساحل

كانوا على مقربة منها هرولت مبتعدة عن ذلك المكان عادت إلى المنزل شعرت بالتعب، كانت والدتها في المطبخ قالت:

- يا سارة اليوم سنأخذ رنا معنا، أنا ووالدك مدعوان لطعام العشاء في بيت صديق والدك، يسكن في هذه المدينة، عليك يا سارة أن تدبري أمر غيابي وتأخذي مكاني ليوم واحد فقط

وافقت سارة وقالت لوالدتها:

- لا عليك أنا أتدبر أمر تامر وعلاء، وإذا حدث شيء أتصل بكم

خرج علاء وتامر للعب مع مجموعة أولاد، أخذا معهما الكرة، وبعض الفطائر، أخبرا والدهما بأنهما سيلعبان في القاعة مع مجموعة من الأولاد تعرفا عليهم عند الساحل، وافق الأب وقال:

- نحن سنخرج لا تدعا سارة تبقى وحيدة

خرج الأولاد، واستعدت ليلى للدعوة، لبست أحلى ثيابها، خرجت من البيت، أوصت سارة بإخوانها وأوصى أسامة الأولاد بسارة، خرج الجميع أما سارة جلست قرب البحر تنظر إلى المارة وإلى الأطفال والبنات.. أزعجها صوت المرأة وهي تصرخ ابنتي.. ابنتي اختفت، أرجوكم ساعدوني عمت الفوضى المكان الكل يسأل:

- كيف؟ ألم تكن معكِ
- بلى كانت تلعب حولي واختفت عن أنظاري، بلغت الإدارة، جميع الشباب ذهبوا للبحث عنها، عادت سارة إلى المنزل تنتظر

تامراً وعلاء، تأخر الأولاد، اتصلت بهما سارة لتطمئن، أخبروها سيعودان إلى المنزل عند انتهاء المباراة، هناك شوط إضافي وبعدها سيعودان مع والد صديقهما إلى المنزل؛ لأن منزلهم قريب من بيت أسامة، ذهبت إلى الشرفة، حل المساء سمعت أصوات شجار وأصوات أطفال يبكون كأن الأصوات تطلب المساعدة، أطفأت أنوار الشرفة، وأنوار الغرفة لتستطيع المراقبة، ركضت لغرفة الأولاد، أحضرت المنظار لتراقب المكان، اختبأت في الشرفة، أخذت المنظار، رأت امرأة تحاول أن ترمي نفسها من الشرفة، ورجلا ضخما يحاول سحبها للداخل، والمرأة ربما تستنجد ولا أحد يغيثها، حاولت أن ترى المزيد تسارعت دقات قلبها، لا أحد في الخارج، ظلت تراقب المكان، رأت الرجل يقترب من الشرفة لمحته، هو ذلك الرجل الذي اصطدم بها أمام البحر، كان ضخما مخيفا، يمسك تمثالا بيده، ضرب المرأة، صرخت سارة وقالت:

- لا ماذا يفعل؟

عادت لترى ماذا يفعل بالمرأة، لم تر شيئاً، سحبها لداخل الشقة، أخرج الرجل رأسه من الشباك، لم ير سوى شباك غرفة سارة، وشرفتها المظلمة، وقال:

- لا أعلم إن كان أحد لمحني وأنا أضرب هذه اللعينة

أغلق الشباك والشرفة، أما سارة أصابتها الحمى واتصلت بوالدتها، لم تجبها، عاودت الاتصال بوالدها أجابها:

- كيف حالك يا سارة

قالت وصوتها يرتجف:

- أبي احضر حالا
- لماذا؟ هل أصابكم مكروه؟
- لا يا أبي لكن في هذه الساعة وأنا جالسة في شرفتي رأيت جريمة قتل حصلت أمام منزلنا في الشقة التي أمامنا

ضحك الأب وقال:
- كيف يا سارة والشقة تبعد عن منزلنا بعدة أمتار
- أقسم لك أنها جريمة قتل رأيتها بمنظار تامر
- هل الأولاد في المنزل؟
- بعد قليل سيحضران
شرحت له أسباب تأخرهم قال:
- حسنا يا بنتي الذي رأيته هو من نسج خيالك ربما أنت متعبة
لم يصدقها، والدها أغلقت نافذتها وشرفتها نزلت إلى تحت، طرق الباب، فزعت وخافت، رأته من ثقب الباب قالت في نفسها:
- يا ويلي إنه الرجل الذي قتل المرأة جاء ليقتلني ربما لمحني
ظل يدق الباب، وسارة لم تصدر صوتا، رحل، وصل تامر وعلاء طرقا الباب، بعد وصولهما لمحهم الرجل من بعيد وقال في نفسه:
- ربما كانوا خارج المنزل وها هم يحضرون الآن
استقل سيارته وانطلق، رأى الأولاد سارة يملأ وجهها الخوف والشحوب، سألها تامر:
- ماذا حصل بغيابنا؟
- لا شيء يدعو للقلق رأسي تؤلمني
قال تامر:
- اذهبي لغرفتك وحاولي أن تنامي
لكنها تفاجأت بطرق على الباب، صرخت سارة وقالت:
- لا تفتح الباب القاتل سيحضر لقتلي
طرق الباب يتعالى، قالت لتامر:
- انظر من ثقب الباب،إذا رأيت شخصاً ضخماً أخبرني لأبلغ الشرطة
- حسنا.. ارتاحي يا سارة لا وجود للقتلة إلا في قصصك الخيالية
ابتسم تامر ونزل للأسفل، كان علاء قد فتح الباب وكان شابا يطلب هاتفا لأن هاتفه انتهى شحنه، أثناء حديثه مع علاء وتامر حاول الشاب معرفة عدد الأشخاص قال تامر:

- لا تتدخل فيما لا يعنيك، طلبت مني شحن هاتفك لا لدخول خصوصيات غيرك

حاول الشاب أن يعرف المزيد، لكن تامراً أسكته بنظرة إزعاج من أسئلته! كانت سارة تسترق السمع وقفت على الدرج لتسمع ما يقولانه، رن هاتف الشاب طلب الشاب هاتفه، تكلم مع رجل آخر، الكلام كان غير مفهوم، شفرات لا أحد يستطيع فكها، أسماء شوارع ربما، أو أرقام هواتف، كانت تحلل سارة ما تسمعه، اتصل أسامة بتامر وقال:

- بعد قليل سنكون في البيت

سأله الشاب:

- هل والدك يتصل بك؟
- نعم، خذ هاتفك وارحل لأنك كثير الكلام

شكر الشاب تامراً ورحل، حضر أسامة وليلى وهما يحملان بعض الأغراض للأولاد، سأل عن سارة، صعد والدها وسألها:

- ما بك يا بنتي؟

أخبرته بما رأته وقالت:

- كنت أسمع أصوات صراخ للمرة الثانية يا أبي أصواتاً تستنجد، صراخاً.. لكني لم أبال، أخذني الفضول وجلبت المنظار لأرى سبب الصراخ هناك، أغلقت ضوء شرفتي، وضوء غرفتي، ورحت أراقب شرفتهم، وإذا برجل ضخم يضرب امرأة على رأسها بتمثال كبير، والمرأة تحاول أن تهرب من بين يديه، لم أتحمل المنظر، اتصلت بك وعليك أن تتصل بالشرطة
- جئت إلى هنا للراحة لا للتحقيقات والأسئلة، بعد قليل يا أبي تفاجأت به يطرق بابنا، قلت ربما لمحني من بعيد وحضر ليقتلني، عليك بإحضار الشرطة أرجوك صدقني

اتصل أسامة بمدير أمن الساحل، أخبره بما رأته سارة، وعده بالحضور حالاً للتحقيق والتأكد من صحة كلامها، حضر المسؤول ومعه حمايته، سأل سارة:

- كيف رأيت المجرم يضرب ضحيته؟
شرحت له ما رأته، لم يصدقها وقال:
- المسافة بعيدة كيف شاهدتِ كل ذلك؟
صعد المسؤول عن حماية السواحل إلى غرفة سارة وأعطته المنظار، كان يقرب الأشياء ويراها واضحة، نزل إلى الأسفل، جلس قليلا مع والد سارة وراح يسأله إذا كانت ابنته تعاني من مشاكل نفسية، أكد أسامة للرجل:
- ابنتي لا تعاني من أي شيء وهي لم تكذب يوما على أحد
أخبره بأن المنزل مغلق منذ سنين، صاحب الدار من رجال الأعمال المعروفين، لم يسكنها بشر؛ لأنه طبيب مشهور سمعته طيبة بين الناس، ويتبرع بأموال كثيرة للأعمال الخيرية، ودور الأيتام، عائلته خارج القطر، حين يزورون المكان يتصل بي لتجهيز وتنظيف الدار، لا أستطيع أن أفعل شيئا إلا الاتصال به وإخباره أنا متأكد بأنه مشغول ولن يرد على مكالمتي، اتصل الرجل عدة مرات، لم يجب الطبيب الجراح، اعتذر والد سارة وقال:
- آسف لحضورك في هذه الساعة المتأخرة من الليل
وأكد فور حصوله على الموافقة سيتم تفتيش الشقة وإجراء كافة التحريات، خرج وحمايته من دار أسامة، حدث ليلى بما قاله المسؤول وقال لها:
- انتبهي لسارة هذه الأيام، ربما تعاني من مشكلة ونحن في غفلة
صعدت ليلى إلى غرفة ابنتها وأخبرتها أن ما رأته خيالا، لا وجود للقتل والجريمة، والمكان آمن ارتاحي وحاولي أن تنامي بهدوء، استمعي قليلا لسورة البقرة، وأكيد ستكونين بخير يا بنتي.
في تلك الليلة لم تستطع سارة النوم، كلما تغفو عيناها ترى القاتل واقفا أمامها، كوابيس أرهقت عينيها إلى أن حل الصباح، نزلت مشت على أطراف أصابعها؛ لكي لا توقظ أحدا من عائلتها، ارتدت قميصا أبيض وبنطالاً فضفاضاً كلون البحر، خرجت بهدوء تفكر وهي تسير إلى ذلك المكان الذي حدثت فيه الجريمة، لا وجود

لأحد، ظلت سارة تدور حول المنزل لترى الذي رأته خيالا أم حقيقة، تسللت إلى المنزل، قفزت دون أن يراها أحد، كان الوقت مبكرا، السادسة صباحا الناس ما زالوا نياماً، فحصت المكان من كل الجوانب؛ لعلها ترى شيئاً أو دليلاً، فهي تعلم أنه لا أحد يصدقها وعليها أن تثبت لهم صحة كلامها، بدأت بنافذة المطبخ، فقد رأتها متهالكة قديمة، دفعتها بكلتا يديها فتحت النافذة، ولرشاقة جسدها استطاعت العبور من النافذة لداخل المنزل، كان نفس تصميم منزلهم، كل الدور تشبه بعضها، لكن هناك شيئا مختلفا، هذا المكان أكبر، ويوجد فيه جراج للسيارة! وهي تمشي داخل المنزل، كانت رائحته نتنة، وأشياء مبعثرة ملابس متسخة تماسكت نفسها، وضعت يدها على أنفها؛ كي لا تشم هذه الرائحة الكريهة، صعدت إلى موقع الجريمة، الغرفة، أثناء بحثها سمعت صوت باب، ووقع أقدام، خافت وقالت:

- ماذا أفعل؟!

خبأت نفسها في تلك الغرفة تحت السرير الذي كان يملأه القاذورات، راحت تحدث نفسها:

- لماذا حضرت إلى هنا؟ يا إلهي سأموت دون أن يعلم أحد بمكاني، سيقتلني، ربما حضر ليدبر أمرأ

أسئلة كثيرة في رأسها الصغير، سمعت شخصا آخر يتكلم، سمعت أصواتا لأقدام تتقرب من الغرفة، حبست أنفاسها وكانت تدعو الله أن ينجيها، صاح الأول وقال:

- صلاح ماذا فعلت بالسمكة؟

رد الرجل الذي نفذ الجريمة، الرجل الضخم الذي رأته سارة على الشاطئ، وبعدها حضر إلى منزلهم ليرى من يسكنه، هو نفسه الذي أرعب سارة أمام الشاطئ قال بخبث:

- رميتها في البحر

خافت سارة، أغلقت صوت هاتفها، أرادت أن تسجل حديثهما، لكن الصوت كان بعيدا قال صلاح لجابر:

- اليوم سأحضر سمكة شهية مساءً، عليك تحضير معدات الشواء

ضحك الاثنان وقال جابر الرجل الضخم:

- إذا سأنتظرك في الواحدة
- أريد المكان نظيفا، ما هذه الأوساخ؟
- اتفقنا سأحضر عدة التنظيف وأنتظرك

أكد على الرجل بمراقبة المكان قبل الخروج، خرج جابر بعد صلاح وهو يراقب المنازل والمارة من نافذة المطبخ، خرج جابر يبحث عن الفرشاة في ممرات الجراج، ارتعبت سارة سمعته يبحث ويشتم لعدم وجود الفرشاة في الحمام، قال بصوته الأجش:

- عليَّ إحضار الفرشاة بسرعة من السوق قبل أن يستيقظ الناس، وأحضر أدوات التعقيم بسرعة لكي تكون رائحة المكان عطرة

خرج جابر بحذر، فرحت سارة لخروجه قالت:

- عليَّ أن أهرب قبل أن أكون واحدة من ضحاياه

خرج جابر بعد خمس دقائق، ركضت سارة مسرعة لتصل إلى نافذة المطبخ صعدت على الكرسي وقفزت رمت نفسها محاولة الهروب وإبلاغ والدها لكن شيئا سقط منها إنه هاتفها، خافت أن يعود جابر ويرى هاتفها مرميا في المطبخ ويبحث عنها وعن عائلتها ويقتلهم جميعا قالت والحزن يملؤها:

- يا إلهي عليَّ الدخول بسرعة قبل حضوره

دخلت من شباك المطبخ، أغلقت الشباك، حاولت أن تجد هاتفها، لكنها تأخرت في إيجاده، سمعت صوت أقدام جابر قالت:

- يا ويلي..

ركضت مسرعة قبل أن يصل ويراها، صعدت على سطح البناية محاولة الهروب من هذا المكان، لكن وجدت الباب مغلقا، رغم المفتاح كان في الباب لكن لم يكن يفتح الباب، يحيط بالمفتاح الصدأ... نهضت ليلى لم تجد سارة في فراشها، نهض الأولاد وسألتهم إذا كانت سارة أخبرتهم بخروجها، لكن سارة كتبت على باب المطبخ:

- لم أحاول إزعاجكم، أنا على الشاطئ

عندما قرأت ليلى ما كتبته سارة، اطمأنت عليها، نهض أسامة، سأل عن سارة، أجاب تامر بأن سارة على الشاطئ، تناولوا وجبة الإفطار، كانت الساعة التاسعة صباحا، ذهب الأولاد مع والدهم لمدينة الألعاب، ليلى جلست لمتابعة التلفاز وقالت سأخبر سارة بأنكم في المنتزه بعدها نكون معكم في قاعة الألعاب، ذهب الأولاد، اتصلت ليلى ب سارة كان هاتفها مغلقا قالت:

- لِمَ تغلقين الهاتف يا سارة؟

حاولت سارة أن تفتح الباب قبل صعوده، لأن جابر ينظف الطابق السفلي، وبعدها يصعد ويجدها ، بعد عدة محاولات منها فُتح الباب، أخذت معها المفتاح وأغلقته من الجهة الثانية لتكسب بعض الوقت، بحثت في كل زوايا السطح عن ثغرة للهروب، فتحت هاتفها لتتصل بأهلها، لم يفتح الهاتف ربما عند سقوطه على الأرض عُطل، أو ربما انتهى شحنه، وضعته في جيبها، حاولت أن تقفز على سطح آخر بجوارهم لكنه كان بعيدا مسافة متر ونصف، عليها القفز كان جابر يصعد الدرج تشعر بوقع أقدامه، ونبضات قلبها ترتجف من شدة الخوف، كان مشغولا بالتنظيف وهي جالسة في زاوية السطح محاولة أن تعرف مكان العطل بهاتفها، كان الجو حارا جدا أحست بالعطش، والإغماء، فهي لم تتناول أي طعام من مساء الأمس، قلقت ليلى وأخبرت زوجها بتأخر سارة عن البيت، وهاتفها مغلق، ولا تعرف ماذا تفعل، وأين تبحث عنها، قال والدها:

- لا تخافي وتقلقي كل شيء طبيعي، المكان آمن، وشرطة الساحل في كل مكان

مرت الدقائق والساعات وسارة مختفية، مما زاد قلق والدتها، هاتفها مغلق، جالسة والشمس تحرقها، لم يبق ظل لتلجأ إليه، حاولت مع هاتفها إعادة فتحه، فتح الهاتف، شكرت الله، لم يتبق من شحنه شيئا اتصلت بالطوارئ وطلبت النجدة، كتبت رسالة لوالدها وأخبرته بما جرى لها وهي جالسة على سطح البيت، انطفأ الهاتف،

صعد جابر كأنه سمع شيئا أراد أن يتأكد منه، نهضت سارة تبحث عن مكان للهروب، سمع جابر أصوات أقدام على السطح، صعد بسرعة على الدرج حاول أن يفتح الباب، لم يتمكن من فتحه، كانت الساعة الثالثة مساء، الناس في هذا الوقت أمام المكيفات؛ لأن الجو حار، ولا أحد يستطيع الخروج، حاولت سارة أن تلمح أحدا، جن جنون جابر ،هناك أحد كشف لعبتهم، رأت شاباً على دراجته مر مسرعاً، استغاثت به تطلب النجدة لوحت بيديها لعله يراها، حاول أن يكسر الباب، بحث عن شيء ليكسره، لم يجد نزل إلى جراج الدار، صرخت سارة، الشاب عاد مسرعا، حاول الدخول، قفز من فوق الجدار، كان جابر له بالمرصاد، أخذه إلى المطبخ بعد ضربه، وسحله، ربطه على كرسي، أخذ لوحا من الحديد؛ ليكسر باب السطح، علمت سارة أن الشاب ربما مات، لم تجرؤ أن تقفز في بادئ الأمر لكنها من خوف جابر، قفزت أثناء قفزها سقط هاتفها، نجحت في القفز على البيت المجاور لكن لم تستطع الوقوف، شعرت بألم كبير في قدميها، زحفت على بطنها، الأرض كانت ملتهبة، احترق جسدها من حرارة الشمس في تلك الساعة، كسر جابر الباب لم يجد أحدا، لكنه سمع صوت الفتاة وهي تستنجد بأحد، ظل يراقب المكان يمينا ويسارا لعله يجدها، لم يجدها لكنه علم أنها فتاة شابة استطاعت القفز إلى لمنزل المجاور لهم، أغلق الباب بالمفتاح، نزل مسرعا سارة ظلت تطرق باب السطح الذي قفزت به، لعل أحدا يغيثها، صرخت قالت:

- ألا يوجد أحد هنا

كانت امرأة عجوز وحدها في البيت، مقعدة على كرسي، أخبرتها العجوز بأنها لا تستطيع مساعدتها لأنها معوقة قالت:

- يا خالة بلغي الشرطة القاتل سيحضر يقتلك ويقتلني

أخبرتها سارة وقالت:

- أنا قفزت هاربة منه لكن قدمي انكسرت، بلغي أحداً ليحضر لنجدتي

حاول جابر اقتحام منزل المرأة المعوقة، قفز جابر من جدار البيت، صرخت العجوز مستغيثة، ضربها على رأسها، كان أسامة وأولاده في قاعة الألعاب، اتصلت ليلى وقالت:

- ما زالت ابنتي مختفية وقلبي غير مطمئن، الساعة الرابعة عصرا

قرا أسامة رسالة ابنته لم يكن منتبها للرسالة، صرخ مستغيثا يا الله، الرسالة أرسلت قبل ساعتين، ابنتي في خطر، ظل يلوم نفسه، اتصل بالمسؤولين. حاول جابر الصعود إلى السطح، لكنه لم يستطع كسره، هرب جابر عندما علم أن الشرطة ستحضر، وعليه إخبار صلاح وجماعته، عاد مسرعا إلى المنزل أخذ الشاب ورماه في صالة، أغلق الجدار عليه، وهو عبارة عن جدار من البلاستك يعزل المطبخ عن الصالة، كانت هناك غرفة سرية يقطعها جدار لا أحد يستطيع كشفه، مطلي بنفس لون المنزل، مسح كل شيء، تم عبوره إلى ممر آخر؛ لأنه سمع أصوات النجدة أغلق الممر، بجانب كل ممر جدار مبني حديثا، يقطع الممرات عن بعضها بقطع البلاستيك، دخلت الشرطة اقتحمت المكان، هرب جابر عن طريق الممرات إلى مكان آخر من المدينة السياحية، أخذ سيارته وهرب، دخلت الشرطة لم تجد شيئا، بحثوا في الغرف لم يجدوا دليلا، المكان نظيف، عاد الضابط وقال:

- أين اختفت الفتاة؟

عاد إلى المطبخ كانت هناك رائحة عفنة، فحص الجدار اتضح أنه مصنوع من البلاستيك، طلب من الشرطي كسره، رأى الشاب مغمي عليه، وبجانبه امرأة متفسخة، أخرجوا الشاب، حاول الضابط كشف المكان، اتضح له أنه ممر سري بين كل عازل إلى أن وصلت الشرطة إلى نهاية الممر، أخذهم إلى مكان آخر علمت سارة أن الشرطة قريبة، صرخت تستنجد، سمعها بعض رجال الشرطة، كانوا على سطح المنزل، ركضوا إلى البيت المجاور لهم، فتحوا الباب، رأى الضابط المرأة العجوز، اسعفوها، صعدوا إلى السطح، أسعفوا سارة، عندما شاهدها والدها بهذه الحالة حضنها وبكى، وحمد الله

على سلامتها، حضرت سيارة الإسعاف وأخذوها إلى أقرب مستشفى، كان الضابط يسألها عن المجرم وهي تصفه لهم، قال:

- لقد هرب...

بعد البحث في كل مكان وجدوا جثث لأطفال بدون أذرع، ونساء بدون أقدام، وبعد التحريات، والقبض على جابر، اتضح أن المكان للطبيب المشهور بنزاهته يتاجر بالأعضاء البشرية، اعترف على كل الجرائم، كلهم شركاء في القتل، يحضرون الضحية بعد ممارساتهم غير الأخلاقية من اعتداء وخطف لنساء وأطفال، جابر وصلاح كان عليهما تحضير الضحية بعد ضربها والاعتداء عليها، يأخذنها إلى الغرفة المعقمة، يكون الطبيب في انتظارهما مع مساعديه، وجماعة أخرى تنتظر لأخذ الأعضاء والهرب بها، بعدها يتم دفن الضحايا أو التخلص منهم برميهم في البحر، كانت سارة في المستشفى مع والدها ووالدتها وبعد إسعافها من الحروق التي أصابتها، عادت إلى المنزل وتم أخذ العلاج، أما قدمها كان ما يزال يؤلمها، تحسنت حالتها بعدما عرفت بأن القتلة أخذوا جزاءهم...

جلست العائلة تحمد الله وتشكره على سلامة ابنتهم، اعتذر والدها لأنه لم يصدقها، حضر المسؤول عن المنطقة السياحية إلى بيت سارة، معه بعض الهدايا شكرها لكشفها الجريمة، وأعطاها مبلغاً من المال لشجاعتها وإصرارها على كشف الحقيقة، قال المحقق ممازحا:

- ننتظرك في العام القادم لتكشفي لنا جريمة أخرى

ضحك الجميع، ودعتهم ليلى لشرب الشاي، ذهب الرجل، وقررت الأسرة أن تبقى لحين شفاء قدم سارة، في اليوم التالي فاجأها والدها بشراء هاتف حديث لها بعدما علم بكسر هاتفها أثناء القفز، فرحت سارة وشكرت والدها، وأخذت مجموعة من الصور للذكرى مع عائلتها قرب الشاطئ وأخذت صوراً مع مسؤول المنتجع، بعد فترة تحسن قدمها واستطاعت المشي وحدها، حان موعد عودتهم، اشتاقت لمدينتها وصديقاتها، استعد الجميع للعودة...

أحلام مؤجلة

رحيل فتاة متوسطة الجمال، ذات شخصية محبوبة لدى جميع رفيقاتها، ولدى الأسرة، حنطية اللون، هي آخر العنقود، عائلتها مكونة من خمسة أشخاص، الأب أحمد والأم ابتهال، وأخت واحدة تدعى ميادة، وأخ اسمه سمير، من عائلة غنية، رحيل طالبة أنهت الدراسة الإعدادية بتفوق، أحبت شاباً من داخل مدينتها، وهو يبادلها نفس الشعور، كانت مهنته حلاقاً اسمه حسام، تعلم حتى

المرحلة الإعدادية، يحب مهنة الحلاقة، الولد البكر لعائلته، يعيل عائلته المكونة من ستة أفراد، كانت رحيل تطمح أن تكون طبيبة لكن.. درجاتها لم تكن بمستوى جيد يؤهلها لكلية الطب لكن درجاتها كانت تؤهلها لكلية التمريض ستكون في المستقبل مساعدة طبيب، جاء يوم تقديم الأوراق والاستمارات، والدتها من النوع المتسلط بقرارات البيت، وبيدها كل شيء، أصدرت قرارا وقالت لزوجها:

- **علينا تقديم الاستمارة للكلية الأهلية، وعلينا جمع المبلغ لأننا سندفعه على شكل دفعات**

هز رأسه بالموافقة، كان أحمد ضعيف الشخصية أمام زوجته، لا يجادلها في قرارات الأولاد وشؤون البيت، جاء اليوم الذي كانت تخاف منه رحيل، تقدم الشاب حسام ذو الجسم المتناسق، الطويل، المحبوب لدى الجميع، لخطبتها، ذهب إلى بيت رحيل مع والدته؛ لأن والده متوفي منذ الثمانينات في الحرب العراقية الإيرانية، كان شهيداً بطلاً آنذاك! بعد حب دام ثلاث سنوات أراد حسام أن يُتَوِّجَه بالزواج، فرحت رحيل بالخبر، لكن لم تكتمل فرحتها، والدتها ابتهال رفضته رفضاً قاطعاً وقالت لوالدة حسام:

- **لن أزوج ابنتي لحلاق!**

خرج حسام وقلبه يدمي ألما وحسرة، أخبرته والدته أن عليه أن يصبر لعل يوما تقبله، وقالت:

- **يا ولدي هم الخاسرون....**

كانت والدة رحيل تطمح لابنتها زوجا طبيبا أو مهندسا المهم يكون خريجا جامعيا، تكلمت والدتها وقالت:

- **يا بنتي ستدخلين إلى عالم آخر، وتنظرين للأشياء بعقل أكبر، وتأخذين القرارات بعقل أكثر حكمة، فلا تتسرعي في اختياراتك ستجدين الأحسن، والمستقبل يفتح لك كل أبوابه فلا تغلقي الباب على عقلك واختياراتك في الجامعة ستتعرفين على**

أشخاص ربما لو تزوجت الآن بعد فترة تندمين، سيعرقل الزواج مسيرتك العلمية، في الوقت الحالي عليك التركيز في دراستك فقط، دون مسؤوليات زوج وأطفال وإلخ.. سوف تغيرين أفكارك حتما وتنسين هذا الحلاق "قالتها باستهزاء"

حزنت رحيل لرفض والدتها، أخبرت والدها لكنه لا يحب التدخل بقرارات زوجته؛ لأنها تفكر أكيداً في مصلحة ابنته!

في اليوم التالي أخذت ابتهال رحيل بسيارة ولدها سمير، لكن رحيل هي التي كانت تقود السيارة؛ لأن والدها علمها قيادة السيارة منذ الصغر واتجهتا إلى كلية التمريض الأهلية، أكملت أوراقها الثبوتية، درجاتها وإجراءاتها القانونية، جلست مع والدتها في مطعم الجامعة، حدثتها والدتها عن اختيارها لوالدها وقالت:

- أنهيت دراستي في المعهد التكنولوجي وتوظفت في دائرة حكومية بعدها تعرفت على والدك، كان يعمل في نفس مكان عملي، تعارفنا، أحبني وأحببته، وبعد فترة اكتشفت لا وجود للحب، فقط في الأفلام والقصص كوني قوية يا بنتي لا تصدقي حب هذه الأيام، يحب عشرة في يوم واحد، ولا أعلم كيف لا يخطئ بأسمائهن، والدك أكبر مثال

كانت ابتهال دائمـا تقـلل من قيمة زوجهـا أمام أولاده، قالت رحـيل وهي تحدث نفسها:

- كيف يا أمي أنسى حساماً وهو كان طيلة ثلاث سنوات كظلي؟ كيف وهو من يدفعني للأمام والنجاح! وأين أبي؟ إنه يهرب من البيت يعمل ليل نهار ليوفر لنا عيشة كريمة، بدون أبي لم نكن نستطيع أن نحيا حياة الرفاهية التي نعيشها، رغم وظيفته فهو يشتغل بالتجارة، ويعمل سائقا للأجرة، يخرج فجرا ويحضر إلى البيت مساء، كانت لديه عدة مغامرات رغم زحمة أشغاله، لكنه كان يجد متعة كبيرة وهو يصادق نساء من كل الأعمار، لا يهمه شيء!

كان أحمد رجلاً بائساً في أغلب الأحيان، لأن علاقته مع زوجته كانت شبه معدومة، قالت وهي تحدث والدتها:

- أنتِ السبب يا أمي لا تزعلي مني، بصدك عنه واستهزائك له دائما، جعلت أبي يهرب من البيت، أخطأ مرة اغفري له، أعطه فرصة ثانية

قاطعتها وقالت بغضب:

- أعطيته أكثر من فرصة، ليذهب إلى الجحيم، لم أعد أحبه، ولم يعد يحبني، هو في عالم آخر، وأنا الوحيدة التي على عاتقي كل مسؤوليات البيت
- يا أمي أنتِ من شجعته على عدم تحمل المسؤوليات قاطعتها ابتهال وقالت:
- خذي حذرك، لا أسمح لأي شخص أن يدمر مستقبلك، لا يعنيني والدك
- حسام ليس كوالدي وأنا لست أنت يا أمي، حسام كان دائما يحميني أينما ذهبت، لم يحاول الاقتراب مني يوما، لم يطلب مني يوما مقابلته سرا، لم يحاول استغلالي طيلة ثلاث سنوات، لا أستطيع أن أحب غيره

صرخت والدتها ونظرت لها نظرة غضب وأسف:

- كيف تجرئين أمامي وتقولين أحبه! وكيف لم أعلم بعلاقتك معه طيلة هذه السنين؟ هيا لنكمل حديثنا في البيت

عادت رحيل إلى البيت مع والدتها، طول الطريق كانت تهددها إن علمت يوما بأنها تتحدث مع ذلك الشاب الذي يدعى حسام، لم تبالِ لحديثها، عادت إلى البيت، جلست رحيل أمام نافذتها التي كانت من خلاله تراقب حساماً وهو يمشي من أمام شقتهم كل يوم، كانت شقتهم في الطابق الثاني، العمارة كانت من ثلاثة طوابق، في الطابق الأعلى امرأة كانت مهنتها شرطية، وشقة أمام شقة رحيل لامرأة كانت صديقة للعائلة تعيش مع زوجها وأطفالهم الصغار،

والطابق الأرضي لعائلة لا علاقة لهم بها، لكن زوجها يملك أسواقا للمواد الغذائية، ولأن حساماً كان يحب رحيل، كانت الأسواق هي المكان الذي يراها فيه ولو لدقائق، كانت تجلس وقت مغيب الشمس كلما رأت المنظر يعتصر قلبها الصغير، كأن الشمس تودع الأرض، كان المنظر يذكرها بحبيبها حسام، تخاف الوداع؛ لأنه شمسها التي لا تغيب! كان يتقصد حين عودته إلى البيت أن يشتري بعض الأغراض، لعله يلمحها من بعيد من نافذتها المطلة على الشارع، أو يراها في المحل الذي تحت شقتهم، دخلت غرفتها، اتصلت بحسام:

- **ألوو**
- **أهلا حبيبتي، كنت قبل قليل أسير في الشارع الذي أمام شقتكم لعلي أراكِ، ألف مبارك دخولك الجامعة**
- **لست بخير وكيف أكون بخير وحان اليوم الذي أطلب منك أن تبتعد عني؛ لأن والدتي ترفض فكرة الزواج بك، أودعك رغم أنك أفقي الجميل، وبرغم أنني لن أتغير فأنت الأنقى والأقرب لي.. أتمنى ألا تتغير مهما رأيت ألواناً أخرى، أتمنى أن يجمعنا الله يوما**

قاطعها حسام وقال:

- **لن نفترق وإن افترقنا لمدة سنجتمع إن أراد الله، لن أتخلى عنك، سأبقى سندا لكِ إلى أن يحقق الله ما نتمناه، لو اجتمع الإنس والجن لن يستطيعوا أن يفرقونا سأقبل بقضاء الله ما باليد حيلة يا عزيزتي، تعلمين جيدا أنا أملك محلا للحلاقة، وأنتِ تعلمين لماذا لم أكمل دراستي في الجامعة؛ لكي أعيل والدتي وإخوتي، لا أحب أن أكون عالة على أحد، حتى من أقرب الناس لي، حتى خالي رفضت مساعدته لي**
- **لا أستطيع أن أغضب أمي مني، سأنتظرك وكلي أمل أن تغير قرارها بعد تخرجي**

وعدها أنه سيبقى وفيا، وسيكمل دراسته الجامعية لإرضاء والدتها!!

فرحت لفكرة إكمال دراسته الجامعية، وشجعته وقالت والفرحة تغمرها:

- أنت قدوتي، أحببت فيك الإصرار وثقتك بنفسك

أنهت المكالمة في أمان الله وحفظه، نزلت وذهبت إلى المطبخ، حاولت أن تعيد البسمة لوجه والدتها، ظلت تمازحها وتقلد أشخاصاً تعرفهم ابتسمت وقبلتها رحيل، تناولت مجموعة من الفواكه، جلست أمام التلفاز لسماع الأخبار، ذهبت إلى النوم؛ لأن غدا أول يوم في الجامعة، عليها أن تكون الأجمل والأحسن، حلّ الصباح، تناولت وجبة الإفطار، قررت والدتها مرافقتها لكن رحيل أخبرت والدتها بذهابها مع زميلاتها، هناك حافلة تنتظرهم:

- يا أمي لم أعد طفلة لترافقيني أنا أستطيع أن أحمي نفسي، وعندما أحتاج لمساعدتك سأطلبها منكِ

ذهبت رحيل مع صديقاتها إلى الجامعة، قدم حسام على جامعة أهلية، لكي يكون بمستوى شهادة رحيل الجامعية، وقدم أوراقه، قبل في كلية الهندسة قسم الميكانيكا؛ لأن معدله كان جيدا، اتصل برحيل وأخبرها بقبولهِ، هنأتهُ رحيل وتمنت له كل خير، بعد عدة محاضرات جلست رحيل في ركن هادئ وحدها تفكر بأخيها سمير الذي كان يكبرها بست سنوات، لا يحب الدراسة، تعلم من والده التجارة، وأحيانا يعمل سائقَ أجرة لتوصيل الطلبات، والمنتجات للناس، كان همه أن يجمع المال، أما علاقته بوالدته لم تكن قوية، كما لم تكن علاقته بوالده جيدة، دائما يعاند والده بقصد أو بغير قصد؛ لأن والده لا يوافق على خطبته لابنة عمته، فهو يحبها منذ الصغر وهي تبادله نفس الشعور، والدته تكره عمته، لا تريد ابنتها ؛هكذا أخبرت ولدها سميراً، وقالت له:

- ما دُمت على قيد الحياة، لن أدعك تتزوجها لأنها تكبرك

كان سمير يحرض والده على والدته ويقول لوالده لماذا لا تأخذ قرارا ولو مرة لصالحي، والدته ربما تعاني من مشاكل نفسية؛ لأن زوجها

كان دائما يبحث عن الجميلات؛ ولأنها لا تمتلك مواصفات الجمال، كانت قصيرة، جسمها ممتلئ مترهل، شعرها مجعد، أما والدها كان أسمر حنطياً، طويلاً ذا أنف طويل، عيناه واسعتان، يعشق التدخين والشاي، عند خروجها معه في أي مكان لا يحترم وجودها، بل يتلصص بالنظر للنساء اللواتي يملأن الشوارع، وكأن التي تسير بجانبه ليست امرأة، تدهورت حالتها النفسية، حتى مع أولادها، تشعر بإهمال زوجها لها، هو يشعر بإهمالها له، تشكي منه ويتشكى منها، ومن تصرفاتها معه، يقول أنها لا تحترمني، ودائما تقلل من شأني أمام عائلتها، وإخوتها، وهي تتهمه بعلاقاته غير الشرعية مع عدة نساء، أولهم الشرطية التي شقتها فوق شقتهم؛ لأنها دعته يوماً إلى منزلها لأكلة سمك مع زوجها وولدها، كان يتذمر من عيشته معها، أما ميادة شقيقتها، كانت والدتها تتدخل في حياتها الزوجية، فهي متزوجة من ابن عمتها، تزوجته بعد علاقة حب، كانت تشجع ابنتها على الطلاق؛ لأنها تعيش معه في قرية صغيرة وابنتها كانت تعيش في المدينة، وبسبب ظرف مر بها، قبلت والدتها بزواجها من ابن عمتها وهي طالبة في كلية التربية آنذاك، لم تكمل دراستها بعد زواجها، صار لها ولدان وبنت، قالت رحيل:

- لماذا أمي تحاول دائما أن تفرق بين اثنين؟

كانت رحيل تنصح أختها التي تكبرها بسبع سنين بألا تخبر والدتها بأسرارها مع زوجها، رغم أنها الأصغر لكن كانت حكيمة في قراراتها، لا تسكت على ظلم أو على خطأ، دائما تحاول أن تجمع عائلتها رغم أن عددهم قليل إلا أنهم غير سعداء.. رغم أن عددهم قليل لكن المشاكل كانت أكبر، جاءت ابنتهم ميادة لزيارتهم، قررت ابتهال أن تمنع ابنتها من الرجوع لزوجها؛ لأن هناك مشكلة بسيطة بينها وبين إحدى أخواته، لكنها طلبت من ابنتها أن يختار زوجها بينها وبين أهله، قالت:

- يا أمي أنا أحب زوجي لكنه يبتعد كثيرا عن البيت مع أصدقائه،

وأنا كالخادمة في البيت، عليَّ أن أرضي الجميع، ولأنها عمتي أخت أبي لا أستطيع أن أفرق بينها وبين زوجي، ماذا أفعل؟ ربما سيغضب أبي لو علم قرارك! والمشكلة تكون أكبر

سمعها أحمد كان في الغرفة القريبة منهما قال:

- أنا سوف أكلم والده وعليه أن يحترم زوجته وأولاده

ابتهال فقدت أعصابها وقالت لزوجها:

- إنه يشبهك لأنك خاله، وثلثا الولد على خاله

كأنها كانت تحتقره، جلس أمامها وقال لها:

- سأجعلك تندمين على احتقارك وإهانتك لي دائما

وقال لابنته:

- هنيئا لكما الانفصال وسأتصل بزوجك وأخبره

صرخت رحيل وقالت:

- يا أمي يكفي ما اسمعه، كم مرة أقول لك يا أختي حلي مشاكلك مع زوجك بعيدا عنا، لا تسمحي لأحد بالتدخل في حياتك، أنتِ لست صغيرة أنت أم لثلاثة أطفال، أنتِ من اختار، لم يجبرك والدي على قبوله

قاطعتها ابتهال وقالت:

- بل كنت أتمنى أن تأخذ الرجل الذي تقدم أول مرة لخطبتها، كان قائداً عسكرياً

قاطعها أحمد:

- كان بعمري، أكبر منها طلب يدها، لم أكن أعلم بأن ابنتي لها علاقة برجل يكبرها بسنين عدة، كيف تشجعينها على الخطأ، لا يهمك سوى المناصب، والمال
- أنا فكرت بمصلحتها
- وهو كان متزوجاً ولديه أطفال صغار كيف أدعك تدمرين عائلته وأنا صديقه وأعرف زوجته؟ الحمد لله عرفت من زوجته، وزوجته فضحت ابنتك وأنت السبب

- أنت ضعيف الشخصية، عندما علموا إخوتك حرموا ابنتي أن تكمل جامعتها
- لأنها أخطأت وهذه عقوبة من يخطئ

كانت ميادة جميلة ممتلئة، تذكرت ميادة عندما كانت في السنة الثانية من كلية التربية، كانت معجبة بصديق والدها الذي يكبرها بعشرات السنين، تحب المال والجاه أكثر من كل شيء، همها أن تتزوج شخصا يكبرها ليدللها وتكون طلباتها مستجابة، عكس رحيل تماما، تحب الرحلات والحفلات، وعندما علمت بصديق والدها متمكن ويملك المال والهيبة، حاولت معه، تفاجأ الرجل، هي من اتصلت به، فرح الرجل بميادة الجميلة الشابة الصغيرة، يعرف والدها، حاول أن يتقرب أكثر من والدها، كثرت العزائم والهدايا له ولأهل بيته، أخبرت والدتها بأنها معجبة بصديق والدها، وسوف يتقدم لخطبتها، لكن يريد وقتاً ليخبر زوجته فهو متزوج وله أولاد منها، لكن زوجته كانت ذكية علمت بأن زوجها يخونها، قررت مراقبة هاتفه الخلوي، وعندما علمت برمزه السري فتحته دون علمه، ورأت العجب، ميادة تراسله وتخبره بحركاتها أينما تذهب، هو يلاحقها، يعلم بمكانها، يشتري لها الهدايا. تفاجأت زوجته، ومن خلال رسائلها له علمت عنوانها وأرقام هواتف والدها، ووالدتها كانت تخبره بكل صغيرة وكبيرة، تعلقت به وتعلق بها، كلام حب وغزل، صورت محادثاتها وصورها التي كانت ترسلها لزوجها وعلمت بأن زوجها يرسل الهدايا الثمينة لها وبعلم والدتها، جنت زوجته، قررت الانتقام منها ومن عائلتها، اتصلت بوالدتها ابتهال، وطلبت أن تكف ابنتها من ملاحقة زوجها، شتمتها لأنها لم تربِ ابنتها، وقالت صورت محادثات ابنتك، وصورها، وسأنشرها على مواقع التواصل، اتصلت بأحمد والدها، رأى محادثات ابنته، انصدم، لم يكن يتوقع أن ابنته تفعل كل هذا، اتصل بابتهال، عاد إلى البيت ليعاقب ابنته، المرأة فضحتهم هي وأهلها، استطاعوا الوصول إلى أعمامها وأخبرتهم

بعلاقتها مع زوجها، وأنها تريد أن تخطف زوجها من أولاده، لم يوافقوا على فعلتها، ولم يغفروا لها إلا بشرط ألا تخرج من المنزل إلا إلى بيت زوجها، خرجت من جامعتها فضحتها أمام صديقاتها وزملائها وأتهمتها بأبشع الاتهامات، صدق الناس وأعمامها ما رأوه من صور ورسائل، حرم والدها عليها الخروج من الدار لأي سبب كان، بعد مدة توسلت من والدتها أن يعيدوا الهاتف لها لأنها ستقتل نفسها إن لم يستجيبوا لها، حضر والدها من نهار متعب وأراد أن يرتاح قليلا؛ كي يخرج بعد الظهر للعمل بسيارته الأجرة؛ ليوفر لهم حياة سعيدة، أخبرته ابتهال بما أخبرتها ميادة، عند سماعه لكلمة انتحار تذكر شيئا سرح إلى ذلك الزمن الذي يذكره دائما بحبيبته سها، كانت هادئة بريئة، أحبها حباً لا يوصف، بادلته ذلك الحب الطاهر، رآها وهي تخرج من مدرستها كان شاباً، لم يكن وسيماً، بل عادياً، يسير يوميا مع أصدقائه يخططون لوقوع الضحية في شباكهم، يتراهنون على الفتيات، من يستطيع أن يجذب انتباهها أولا، ومن يأتي منها شيئا هو الفائز، منديلا أو خصلة من شعرها، أو عطرا، أي شيء، كان أحمد آنذاك مستهترا، مراهقاً ، الفتيات بالنسبة له عبارة عن تسلية لا أكثر، إلى أن جاء اليوم الذي رأى سها فيه، فتاة مؤدبة تذهب إلى مدرستها وتعود مسرعة إلى البيت، أخوتها الصغار ينتظرونها لتطبخ لهم شيئا، والداها مشغولان بأحد أبنائهم مريض بالسرطان، بين فترة وأخرى يذهبان للعاصمة بغداد لعلاجه، أكثر الأيام تنام والدتها معه في المستشفيات الحكومية للعلاج، كانت سها ليست كباقي فتيات جيلها عند انتهائها من إطعام إخوتها وجدتها المرأة العجوز تنظف البيت وترتبه، وبعدها تحضر واجباتها المدرسية، وتدرس أخوتها الأصغر منها سنا، كانت أكبر من أخوتها، كانت حبيبة جدتها، لم يكن لها وقت للحب، ومشاهدة التلفاز آنذاك كباقي المراهقات من جيلها، همها أن تنجح لأنها تحب أن تكون مدرسة، رآها أحمد يوما، ظل يراقبها رآها فتاة مهذبة لا دخل

لها بفتيات جيلها، انبهر بها، جميلة، بيضاء، طويلة ذات قوام جميل متناسق، شعرها قصير، حاول أن يجذبها، لكنها كل يوم تذهب صباحا إلى المدرسة وعند خروجها يبحث عنها بين الفتيات، لعله يراها، ترك أصدقاءه، أخبر صديقه المقرب بأنه أحب هذه الفتاة لأنها مختلفة، وهو يراقب تصرفاتها، هي ليست كباقي الفتيات، لا تنظر لأحد بل لا تراه وهو يراقبها كل يوم، وقال كيف أشد انتباهها لي، أريدها أن تعلم أني ألاحقها هي، وأني معجب بها، سها عائلتها متحضرة، والدها إنسان مثقف، تحب القراءة منذ صغرها، وكانت هناك مكتبة عامة، تتردد بالذهاب إلى تلك المكتبة تستعير الكتب لتقرأها، كانت بالنسبة لها المتنفس الوحيد؛ لأنها تحلق مع الروايات إلى عالم آخر عالم نقي، علم بأنها تحب القراءة، وأنها على موعد للذهاب إلى المكتبة، لأنه يلاحقها كظلها أينما ذهبت، علمت عن طريق الصدفة أنه يلاحقها، عندما تسير سها لا ترفع رأسها، لا ترى سوى موضع قدمها، عن طريق الصدفة عادت واحدة من زميلاتها معها من المكتبة، لأن مُدرسة التاريخ طلبت منهم بحثاً، والدرجة النهائية سوف تكون على نجاح البحث، اختارت سها آنذاك بحثا عن القائد القعقاع، كان قائدا شجاعا، وعليها أن تذهب للبحث عن مصادر من المكتبة العامة عن هذا القائد، أخبرتها زميلتها بأن شاباً يلاحقهما، وهو خارج المكتبة ينتظرهما، ربما لم تبال سها بحديث زميلتها، بل تهربت منها؛ لأن جدتها العجوز كانت دائما توصيها بعدم السير مع الفتيات اللعوبات، علمتها أن تحترم ثقة أهلها لها، خافت سها لأن يلاحق الشاب صديقتها، والناس يتهمونها هي أيضا به، لم تكن تعلم بأنه يلاحقها منذ زمن، لكن من بعيد، لم يكن يجرؤ بمصارحتها؛ لأنه كان يخاف أن ترفضه وقد تعلق بها وأحبها من كل قلبه، بل صار يكتب الأشعار لها، أخذت الكتاب بعد إعطائه هويتها المدرسية، استعارت وخرجت مسرعة إلى البيت بعد هروبها من زميلتها، وغيرت طريق العودة إلى البيت، كانت هناك عدة طرق لكن

أحمد ظل يسير دون أن تشعر بأنه يمشي خلفها، كان يضع مسافة بعيدة عنها ليحميها من ألسنة الناس قرر أن يعترف لها، كان الشارع فارغا، وقال هذه فرصتي، كانت تلبس نظارة شمسية، جاءها مسرعا وأطربها بشعر لنزار وهو يتغزل بها، انصدمت رفعت رأسها، رأته.. كأنها تعرفه، تسارعت دقات قلبها، إنها المرة الأولى التي يجرؤ فيها أحدٌ ويتغزل فيها، رمى ورقة وقال:

- أرجوك أنا لا أطلب منكِ شيئا سوى أن تقرأي رسالتي هذه

رماها وهرب، ماذا تفعل؟ لم تأخذها بل أسرعت في سيرها، عاد أحمد وأخذ ورقته، وتجرأ أكثر، وصلت إلى منزلها وقال:

- إذا لم تأخذي رسالتي سأحضر إلى منزلكم اليوم في الرابعة عصرا

دخلت البيت، كان يوماً حافلا كأنها ترى فيلماً رومانسياً جميلاً، ابتسمت وقالت:

- لماذا تسارعت نبضات قلبي حين رأيته؟ هذه أول مرة يطاردني شخصاً

ظلت تفكر به، عادت إلى أعمال البيت وكتبها ودراستها، ظل أحمد يلاحقها وأخبر جميع أصدقائه بأنه يحبها، أخبر والدته وأخته وكل عائلته أنه يعشقها لنقائها، مرت الشهور وظل أحمد يلاحقها منذ الصباح حتى انتهاء دوامها المدرسي، نجحت سها بل تفوقت ونجح أحمد لأن حبيبته صارت تشعر به، بعد انتهاء العام الدراسي لم يكن مجموعه كبيراً؛ لأنه كان كثير التسكع في الطرقات، واجتهد عندما أحب بصدق، أراد أن يثبت لحبيبته بأنه طالب مجتهد سيكمل دراسته ليفوز بها، هي أرادت أن تختصر الطرق، قدمت على معهد المعلمات لحصولها على الدبلوم، وبعدها تكمل دراستها الجامعية، كانت كثيرة الأحلام، المعهد كان خارج مدينتها، وأحمد أيضا قبل في إعدادية الصناعة والميكانيكا؛ لأن مجموعه قليل، هنا بدأت الحكاية، سافرت والدة سها إلى بريطانيا لعلاج ولدها من مرض السرطان، وكانت سها هي الضحية كيف ستتفوق في عمل البيت

ودراستها، وإخوتها الأصغر منها، كان عمرها ستة عشر ربيعا، رغم حزنها على أخيها وسفر والدتها إلا أنها كانت صبورة، قوية، تحاول أن تسعد إخوتها الصغار بطريقتها، تلعب معهم داخل البيت، سافرت الأم، ظل أحمد الحارس لها؛ لأنها جميلة وأنيقة جدا، الشباب كانوا يتمنون أن يتكلموا معها كانت والدتها تكلمهم من هاتف عمومي، وتخبرها سها بأنها متعبة، وتتمنى عودتهم إلى الديار، لكن وضع أخيها غير مستقر، والطبيب كل شهر يؤجل عودتهم إلى بلدهم، أرسل أحمد شقيقته إلى منزل سها، لتتعرف عليها، دخلت منزلهم، تفاجأت سها، لم تكن تعرفها، أخبرتها بأنها شقيقة أحمد، وأنه أخبر الجميع بالارتباط بها، وهو يعشقها بجنون، وقالت أنه ينشر أشعاره بجريدة الراصد آنذاك، كانت الجريدة تشجع المواهب الشابة، الجميع يقلد نزاراً في حبه لبلقيس في ثمانينات الزمن الماضي، وحب أحمد لسها يعد حبا خرافيا صادقا، أصبحت صديقة سها المقربة، دعتها إلى منزلهم، للتعرف على العائلة، رآها آخوه الأكبر آنذاك وقال:

- أهلا بزوجة أخي المستقبلية

خجلت سها واحمرت وجنتاها، أخذها أحمد لمشاهدة حديقتهم، أمسك بيدها، حلقت مع أحلامها وطموحاتها، اقترب أكثر منها، سمع دقات قلبها وهي تتسارع، أبعدته عنها بحركة رقيقة من يديها، أخبرها بمشاعره فبادلته نفس الشعور، كان يربطهم شيئ واحد، هو الشعر وبحوره، راح يكتب عنها ويتغزل بشعرها، وأجاد في وصفها، اشتهر أحمد بقصائده لسها، وهي تشجعه للاستمرار، تطورت علاقته بها، طلبها من والدها لكن والدها أخبره بأنها ستبقى محجوزة لإكمال دراستهما، اطمأنت سها من أحمد؛ لأنه عاهد الله أن تبقى حبيبته ولا أحد يفرق بينهما سوى الموت، طلب منها أن تخرج معه إلى منتزه المدينة لأنه يعد بمنزلة خطيبها، التقط معها بعض الصور وهو يحضنها بذراعيه، احتفظ بصورها لأنه قال لها:

- علينا توثيق هذه المرحلة من حياتنا، ليراها غدا أبناؤنا

فرحت وخجلت بنفس الوقت، حاولت أن تتهرب من نظراته، عشقته وأحبته حد الجنون، عادت والدتها من السفر، تحسن أخوها، انتهى العام الدراسي، نجحت سها وأحمد، انتقلت إلى المرحلة الثانية، وهو أيضا، كانا يتمنيان أن تركض الساعات كي يكونا معا، لن تستطيع الخروج؛ لأن والدة سها لا توافق بخروجها لأي مكان، لكن أحمد كان كل يوم يتتبع أخبارها ويتصل بها عن طريق الهاتف الأرضي، في يوم اشتاق لرؤيتها قالت:

- لديك صوري انظر لها كلما تشتاق لي، أما أنا ماذا أفعل؟ أخاف أن أحتفظ بصورتك عندي يراها أبي أو أخي، بماذا أخبرهم سيعاقبونني علينا أن نتحمل

لم تعرف سها أن القدر سيحطم أحلامها ويدمرها، أخرج صور سها دخل عليه أخوه الأكبر سعيد، وكان متسلطاً وكل القرارات بيديه، رأى صور حبيبته وهو يحضنها بين ذراعيه، تكلم عنها بأبشع الصور، واتهمها بعرضها، قال أحمد أنا طلبت منها لأنها تعدني خطيبها، والفتاة خجلت لهذا الوضع الذي تراه الآن، إنها لحظة ثوانٍ كنا فيها سعداء وثقتها للذكرى لأخبر أولادي بأنني كنت أعشقها، أمره سعيد بأن يكف عن ملاحقتها، ويكف عن حبه لها، اتصل بسها. عـلم رقـم هاتفهم من أخته براء. اتصل بها وكلمها بهدوء وقال:

- لماذا شوهت الصورة التي كنت أتخيلك عليها؟

لم تعلم ماذا يقصد قالت:

- أي صورة؟

قال لها بغضب:

- تأخذين صوراً لا أخلاقية مع أخي، انتهى كل شيء، لا نريدك لعائلتنا

حاولت إخباره بأنها كانت مجرد صور طلبها منها دون فائدة قال:

- انسيه

صرخت وقالت:

- كيف أنساه؟

هددها بصورها، أخبرها بأن صورها بحوزته، وأن أحمد لو كان يحبها لاحتفظ بصورها، لكنه أخبر جميع أصدقائه بالصور، والكل رآها وهو يحضنك، بكت سها وقالت:

- كيف يشهر بصوري! لا أصدق ولو كان كذباً

كيف علم أخوه بموضوع الصور؟ وهو أخبرني بأنها سر بيني وبينه، حاولت أن تتصل به، لا أحد يجيب، هدد سعيد أخاه أحمد بنشر صور حبيبته إذا استمر معها، وأخبر سها بأن أحمد نشر صورها، نجحت خطته بتفرقتهما، ابتعدت سها عن كل شيء، خافت على سمعة والدها، حاولت الاتصال به لكن شقيقته براء أخبرتها بأن أحمد يحاول أن ينساها بعلاقاته الجديدة والكثيرة، تدمرت حالة سها النفسية، لم يتواصل أحمد معها انقطعت كل أخباره عنها إلى أن جاء اليوم الذي قررت سها الانتحار اتصلت بأحمد لم تجده، طلبت شقيقته براء تكلمت معها وأخبرتها بأن هذا آخر اتصال معها، أرجوك أخبريه بأني لا أستطيع العيش بدونه، أخبريه بأني كنت أصدق كل شيء، لكني لن أصدق ما فعله بي، أخبريه أني كنت أتحمل ألا أراه، لكني أدمنت صوته، لا أستطيع أن أعيش بدونه، أخبريه بأني اخترت الموت لربما أرتاح من هذا العذاب الذي رماني به... عاد أحمد بذاكرته إلى الواقع قال لزوجته والدموع تملأ عينيه:

- دعي الهاتف معها ولكن راقبي تحركاتها باستمرار

بعد فترة قصيرة أحبت ابن عمتها، ووافقت على الزواج منه، صار عندها ثلاثة أطفال، قال أحمد:

- لم أجبرها على الزواج، هي من اختارت واليوم تحاولين أن تهدمي ما بنته ابنتك طيلة تلك السنين

كانت ميادة سريعة الزعل، لا تحب سوى نفسها أنانية، اتصلت رحيل بحبيبها حسام وأخبرته بكثرة المشاكل في البيت، ظل يمازحها

ليخفف عنها ويقول لها:

- تحملي، كلها أربع سنوات وستكونين لي وحدي

خجلت رحيل من كلماته، حاولت أن تتهرب منه بسؤالها عن دراسته وعن خروج الشباب لساحة التحرير.. وهي تتصفح الإنترنت عن طريق الصدفة رأت حبيبها أحمد، دخلت على صفحته على الفيس بوك، ومن خلال صوره بكت، تذكرت ما فعله بها، لكن طيلة السنين التي مرت كانت تريد إجابة لسؤالها، لماذا تخلى عنها؟ تذكرت يوم انتحارها كأنه الأمس، شربت كل أنواع الأدوية الموجودة في صيدلية البيت، طلبت من براء أن تخبره بأنها لا تستطيع العيش بدونه، وأخبرتها بأنها آخر شخص تحدثه، كان والداها غير موجودين لا يوجد سوى إخوتها الصغار، ذهبت إلى فراشها تستعد للموت، بعد دقائق قليلة تثاقلت عيناها وغابت عن الوعي، تذكرت بأن الله لم يكن يريدها أن تموت، جاءت إلى بيتهم ابنة خالتها، تعجبت وقالت:

- أين سها؟

أخبرها إخوتها بأنها نائمة، قالت:

- سها لا تنام أبدا في هذه الساعة

كانت التاسعة مساء، كان الجو حاراً، حاولت ليلى تضربها على وجهها لم تكن تعلم أنها في غيبوبة، شعرت بالخوف والذعر، طلبت النجدة من زوجها وقال:

- لنصبر قليلا لحين وصول والديها

انتظرت ليلى ساعة، وسها لا تجيب، إلى أن حضر والداها، أسرعوا بها إلى المستشفى القريبة من منزلهم أخبرهم الطبيب بأنها حالة انتحار وعليه إبلاغ الشرطة لكن والد سها تهجم عليه وقال:

- لِمَ الانتحار! ابنتي مدللة لِمَ تنتحر؟

- هذه مسؤولية، ونحن لا نملك أجهزة كافية، إنها في غيبوبة

أرسل معهم تقريرا عن حالتها، وأُدخلت العناية المركزة، كانت

المستشفى خارج المدينة، تبعد عن مدينتهم بساعة، لم يستطيعوا غسل معدتها لأن مفعول الأدوية أثر بها، الطبيب اعتنى بحالتها، لم تستفق من غيبوبتها إلا بعد يومين، شريط ذكرياتها مر بسرعة أمامها، كيف بقيت عدة أشهر وهي تتعالج من تأثير الأدوية، علم الطبيب أنها حالة انتحار، جلس بقربها وقال:

- كوني قوية، لا أحد يستحق أن نقتل أنفسنا من أجله

بكت سها وقالت في سرها:

- هو لا يعلم كم أدمنته

قال لها:

- أنت ما زلتِ صغيرة، والدنيا مدرسة كبيرة، نتعلم منها الدروس والعبر، والموت حق، لكن ألا تعلمين الذي يقتل نفسه مثواه جهنم، لِمَ تخسرين الدنيا والأخرة؟

أمسك يدها وقال:

- هيا انهضي وحاولي من جديد

كانت لا تستطيع السير، ذهبت والدتها تبحث عن كرسي متحرك، أحضرته لها ؛ الطبيب قال لوالدتها حاولوا أن تعرفوا منها سبب كآبتها، لكن والدة سها لم تكن تعلم شيئا عن أسرارها؛ لأن سها من النوع الكتوم، لا أحد يفهمها من عائلتها، لا تظهر لأحد ما تشتكي منه، بل على العكس تراها تبتسم وهي تحترق من الداخل، وفيَّة، تكره الخيانة بكل أشكالها، سمعت بأنه تزوج من موظفة تعمل معه، تزوجت من شخص لا تعرفه فقط لإرضاء والدتها، توفي والدها، انتقلت عائلة سها لمدينة أخرى، منذ اليوم الأول أخبرها زوجها بأنه لا يريدها، كان يريد فتاة من أقربائه، لكن لم يوافق والد الفتاة، فقرر والده أن يزوجه أحلى فتاة، وأن تكون مثقفة، ولأنه وحيد والديه، أقنعتها والدتها بالقبول، كان غنيا، لم تكن تعلم بأنه مريض نفسيا، عاشت حياة الذل والقهر، كلما كانت تتذكر تبكي وتقول:

- هو سبب تعاستي

كلما تهربُ من زوجها تعيدها والدتها إليه، أنجبت ولدا أسمته أحمد، لم تستطع نسيانه، إلى أن جاء اليوم الذي طلبت الطلاق من زوجها، تطلقت بعد إنجابها منه عدة أولاد، عاشت مأساة معه، كانت تقول في سرها ربما هذه عقوبة الله لي لأنني حاولت الانتحار يوما، بعد أن عرفت رقم هاتف شقيقته براء، اتصلت بها، أخبرت براء بأنها عاشت مأساة، وهي أخبرتها بأن أحمد غير مرتاح مع زوجته، وأن علاقته بها شبه معدومة، زوجته تكره براء لأن ولدها يحب ابنتها، أخبرت أحمد بأنها تحدثت مع سها، مر شريط الذكريات بسرعة، وراح يتذكر كيف كان يحميها ويحبها بكل صدق، لكن القدر كان حينها أقوى منهما، كل شيء بقضاء، ما بأيدينا خلقنا تعساء، فرح أحمد وحاول الوصول إليها بشتى الطرق، بعد معرفة صفحتها على الفيس بوك، اتصل بها قالت:

- أردت معرفة شيئا واحدا، أخبرني بصدق.. لماذا فعلت بي ما فعلته؟

أخبرها بما فعله أخوه، وأنه كان يخاف عليها أكثر من نفسه وقال:

- أحببت زوجتي لأنها كانت مثقفة، ذات شخصية قوية، لكني اكتشفت بعد فترة بأن عقلها متخلف لا تملك أي ثقافة، لا تحب الشعر، ولا تجيد المجاملة، وفي الحديث مع الناس همجية، دائما تتشكى، أحاول أن أركض ليلا ونهارا لها ولأولادي، لكن لا يعجبها شيء، تشك في نفسها ودائما أقول لها، كنت أتمنى أن تكون سها أم أولادي، هي حساسة، تحبني وأحبها بجنون، تقول لي كل هذه السنين وما زلت تتمنى سها

طلب من سها أن يتزوجها على سنة الله، لكن دون علم زوجته ليكون سرا، أخبرت أولادها بعرضه لها، قال:

- لن يستطيع أحد أن يفرق بيننا بعد الآن، حتى لو علمت زوجتي لا يهمني، حرمت نفسي من أشياء كثيرة، فعلت كل شيء لأسعدها قالتها أمامي اذهب وتزوج أنا لم يعد يهمني، لأني لم

أعد أحبك، وها أنا وجدتك ولن أدعك تختفين من حياتي، عادت روحي بعدما رأيتك

أخبرته بمعاناتها وهمجية زوجها وضربه المستمر لها، وشتمه لها بسبب وبغير سبب، اتفق الاثنان ألا يفرقهما أحد سوى الموت، تزوجها، أصبحت أسعد إنسانة، وهو أيضا كان سعيدا بها، وصرخ بأعلى صوته.. أحبك، قضيا تلك الليلة في شوارع بغداد، لم يناما تلك الليلة من الفرح بعدها ودعته سها، اتفق معها أن يحضر يوماً إلى منزلها ليتعرف على أولادها، عندما يخرج فجرا من البيت يكلمها إلى أن يصل جراج السيارات، يشعر معها بالأمان، وهي كذلك، يكلمها كل ساعة ليطمئن عليها، تكلمه طيلة النهار إلى وقت دخوله البيت كان يقضي يومه كله معها عن طريق الهاتف، تفاجأ لدفء مشاعرها، حبها له يعادل الدنيا وما فيها، فرح لرجوعها بعد حرمانه منها ومن حنانها وطيبتها طيلة تلك السنين، يقول لها:

- كم تمنيت أن تكوني أم أولادي

وتقول له:

- أولادك هم أولادي، لا فرق عندي كلهم أولادي

تشاجر مع زوجته بسبب إجهاض ابنتها ميادة وزوجها لا يعلم، قتلت نفسا بغير حق، تدهورت علاقته بزوجته، كان يشتكي لسها ما تفعله أم رحيل، ويقول:

- تعبت منها لم تدع ابنتها بحالها وابنتها تطيعها

كانت رحيل تحاول أن تصلح ما أفسدته والدتها، لكن ميادة كانت تقول لرحيل:

- أنتِ لا تحبين بقائي معكم، تكرهين أولادي ولا تتحملين شقاوتهم

أخبرتها مرارا بأنها تحبهم، كان زوجها يتصل بها؛ كي يسأل عن أولاده، أحمد يتهرب من البيت ومشاكل أولاده، أخبرته سها بأن زوجته دخلت عليها وظلت تسبها وتشتمها وقالت متعجبة:

- كيف علمت بصفحتي

اتصلت بها، وأنكرت سها معرفتها بزوجها؛ لأنها كانت لا تريد أن تهدم علاقته مع زوجته، كانت تقول له:

- مهما كان فهي أم أولادك

دامت علاقتهما الزوجية عامين، لكن القدر لعب لعبته مع سها للمرة الثانية! كان أحمد دائما يشكو من ابتهال، لم يصل معها لحل سوى الطلاق، كان يتقرب من سها أكثر فأكثر، ابتعد عن زوجته، خططت ابتهال ورحلت إلى بيت أخيها غاضبة منه؛ لأنه تغير عليها، تآمرت على أحمد مع ابنة خالتها، كانت هي الأخرى تشكو من زوجها، كانت خطتها أن تراسل أحمد، وتراسل سها، وتتهمها في شرفها، لم تكن تعلم أنها زوجته على سنة الله ورسوله، مرت عدة أشهر تغير أحمد، كثرت مشاكله مع زوجته، كان في صراع مع نفسه، كانت سها بعيدة عنه مسافة ثلاث ساعات بالسيارة، صار يبتعد عنها شيئا فشيئا، حاولت أن تعرف السبب، لم يخبرها بشيء قالت:

- إذا كنت قد مللت مني أو انتهى حبك لي ذات يوم أخبرني
- أريدك لآخر العمر

بعد سفر زوجته قالت ابنة خالتها، هناك رجل ساحر يستطيع أن يغير زوجك لصالحك، وسيكون كالخاتم في إصبعك، لكنه يريد مبلغا من المال، نصف مليون جنيه لأن أعماله شيطانية، قبلت أم رحيل بشرط أن يكون زوجها كالخاتم في إصبعها، ويكون مطيع لها، أعطتها المال، كانت تعرف من خلال الساحر أن أحمد مشغول بحبيبته، وأنه متزوج منها، يمتلك جنيا يأتيه بالأخبار، ظلت عند بيت أخيها، وميادة ورحيل مع والدهما، اتفقت مع ميادة أن تساعدها؛ لأن والدتها تشتري لها ما تريد هي وأطفالها، وفعلا تغير أحمد فجأة دون سابق إنذار، فجأة صار يحب زوجته لكنه لم يخبر سها بأن زوجته عادت إلى بيتها، وابنتها أيضا عادت إلى بيتها بعدما حضر زوج ميادة إلى بيت خاله، بعد عدة أيام صار أحمد لا يحدث سها؛ لأنها طلبت

أن يصدق العقد في المحكمة، ظل يماطل فيه ويؤجل لم تكن تعلم ما تدبره زوجته لها! لكنها أخبرته أنها زوجته، وعليه حقوق وواجبات، وهي لا تريد سوى أن تسمع صوته كل يوم كالسابق، كانت تسأل لماذا تغير وكيف؟ ما هو السبب؟ حلمت بوالدها وهو يمسك بقميص زوجها أحمد يتشاجر معه، تفاجأت سها بالحلم، فهي لم تحلم بوالدها طيلة العشر سنوات، أخبرته وقالت:

- لِمَ أبي كان يتشاجر معك؟

أخبرته بالرؤيا قالت:

- رأيتك مع واحدة غيري، أمسكت يدها، وتخليت عني، وأنا أتوسل إليك وأقول لا تفعل بي كما فعلت قبل عشرات السنين، لا تتخلَ عني لأنك وعدتني لن يفرقنا سوى الموت، رحلت عني كنت حزينة، رأيت أبي يتشاجر معك، كنت أريد الانتحار، أركض وأقدامي متثاقلة إلى أن جفلت من حلمي على صوت آذان الفجر، نهضت وصليت ودعوت ألا أرى هذا اليوم الذي رأيته في الحلم
- أريد أن أخبرك بأني لا أستطيع أن أكمل معك

تغير بسرعة كالبرق حين يظهر فجأة ويختفي فجأة وقال:

- إذا كنتِ تحبينني تمني لي السعادة لأن زوجتي لا أعلم من أخبرها بزواجنا ربما أخواتك، أنا كذبت الخبر وقلت لها بأنك مجرد نزوة

ذهبت زوجة أحمد إلى بيت أخي سها تكلمت عن سها بأبشع الكلمات، لكن سها قالت لإخوانها:

- لا تخبروها بزواجنا

لكن أخاها قال:

- هو باعك واشترى زوجته، أخبريها بأنك لست بعشيقته بل زوجته وحبيبته

جن جنونها عندها قالت لأحمد:

- عليك الاختيار أنا أو هي

اختارها وحطم قلبها للمرة الثانية، شوه سمعتها هو وزوجته في كل مكان، تعبت حالتها النفسية لكنها هذه المرة لم تنتحر بل كل ثانية كانت تدعو عليه؛ لأنه لم يصن عهده لها، طلقها غيابياً لأنه عديم الشخصية، قالت له:

- لم أفعل شيئا، ولم أحاول أن أدمرك كما فعلت زوجتك بك، كانت طيلة تلك السنين تتكلم عنك بأبشع الكلام، ما دمت اخترتها هنيئا لك بها، سأنتظر انتقام الله منك ومنها

عندما سحرته وجعلته خاتما بأصبعها كانت تعاني من الألم وتقول:

- لو كان يحبها لِمَ تقرب مني؟ لماذا لم يبق بعيدا؟

تألمت ومرضت لكنها عادت أقوى من السابق وقالت له:

- سأنتظر انتقام الله منك لأنك قتلتني مرتين

مرت الأشهر والثورة في ذروتها، تعطلت المدارس والجامعات في العاصمة بغداد، الكل يصرخ نريد وطنا، كانت سها أول يوم لها مع القضاء، تأجلت القضية بسبب أوضاع الخامس والعشرين من الشهر التاسع لسنة 2019 ازداد عدد المتظاهرين وقطعوا الطرقات والحكومة كانت ترمي عليهم غازات محرمة دوليا، تعالت أصوات، واستشهد شباب في ربيع أعمارهم واعتقل آخرون، اتصل حسام بحبيبته وسألها عن أوضاعهم في البيت:

- أبي . رغم كل المشاجرات مع والدتي تغير فجأة، صار يحبها أكثر من كل وقت، أنا وأخي أصابتنا الدهشة عندما شاهدنا والدي لا يخرج من البيت إلا بأمر والدتي
- أنا سأذهب إلى ساحة التحرير وأريد رؤيتك وليس لدي أي وقت يا رحيل أخاف أن أموت ولا أراك، هذا أول طلب أطلبه منكِ،

أتمنى أن تحققيه لي

كانت رحيل تحبه، ولأنها سمعت بذهابه نحو الموت قررت أن تكلمه وجها لوجه، وافقت أن تلتقي به في بيت صديق له، كان يخاف عليها وعلى سمعتها، أخذ مفتاح البيت وظل ينتظرها في البيت إلى أن حضرت دخلت إلى البيت وتكلمت معه وقالت له:

- لا تستطيع أن تبتعد عني وتذهب مع المتظاهرين

كانت تخاف أن يفرقهما الموت، وهي تعد الساعات لتكون زوجته، جلس بقربها كان يعبث بخصلات شعرها، أغواهما الشيطان وقال:

- لا تخافي أنا سأتزوجك أنتِ حبيبتي، لن أتخلى عنكِ أبدا

فقدت عذريتها خاف عليها وقال:

- سوف آخذك لأقرب شيخ ليعقد علينا ودعي الورقة عندك، أنتِ زوجتي أمام الله ورسوله

اطمأنت رحيل لكنها ظلت قلقة، كيف لو أن والدتها كشفت سر زواجها..

قال حسام:

- هؤلاء أصدقائي هم شهود على زواجنا، لا تخافي مني

عادت إلى البيت بعد أن وصلها حسام، في ذلك اليوم قوات الشغب هجموا على خيام المتظاهرين السلميين، أحرقوا خيامهم وتناقلت الأخبار في الفضائيات عن حرقهم للخيام ظلت رحيل تخاف على حسام، تتصل به بين حين وحين أخبرها حسام بأنه بخير، وكان يشعر بالسعادة لأنه حقق حلمه بزواجه منها، في اليوم التالي اتصلت به وتكلم معها كثيرا وأخبرته أنها تشتاق إليه قال لها:

- لا تخافي لأني حققت حلمي وتزوجتك لا تفكري بالموت أبدا
- أنا لا أخافه

ذهبت رحيل للنوم، وذهب حسام مع أصدقائه يصدون الغازات المسيلة للدموع التي كانت تفجر رؤوس المتظاهرين، يضربونهم ببنادق الصيد والشباب يصدون تلك الجمرات بأجسادهم، وفي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل هجموا على المتظاهرين واستقرت طلقة بصدر حسام صاح:

- آه يا أمي.. افتخري بولدك

وقع على الأرض حمله أصدقاؤه إلى خيمة الإسعافات لكن قبل أن يموت ببضع دقائق أوصى لو مات يأخذونه إلى بيت رحيل ويقيمون له مراسم العرس ويزفونه، وليعلموا أبويها بأنها زوجته أمام الله، وأني انتظرها في الجنة، وهذا قدرنا وعليها أن تتحمل غيابي بكى الأولاد على موت حسام وأصدقائهم، اتصلوا بوالدته وأخبروها بما أخبرهم حسام ،إنها وصيته، وعلينا أن نعمل بها، ضربت نفسها وجنت لفقد حبيب قلبها ولدها حسام، ظلت تبكيه حتى ساعات الصباح، تحضر كل أصدقائه وبعد أن أحضروا السيارات لدفن جثمانه طلبت والدته أن تدفنه بقرب والده الشهيد، وظلت تبكي وتقول:

- عشت بطلا ومت بطلا

قبل أن يدفنوه عليهم أن يذهبوا إلى منزل أحمد، رحيل لم تكن في فراشها أحست بضيق في تنفسها، لكنها لم تخبر أحدا وفي تمام الساعة السادسة صباحا انطلق الشباب وهم يحملون جثته الطاهرة إلى منزل رحيل وقفوا أمام المنزل وظل الطبال يدق إنها فرقة موسيقية، صرخ أحمد ما هذه الفرقة التي تقف أمام منزلنا منذ الصباح الباكر، ألا يخجلون من تصرفاتهم؟ من يتزوج في هذه الساعة والناس نيام؟ دق جرس الباب وإذا بوالدة حسام تطلب رحيل، حضرت رحيل صاحت وحضنتها وقالت:

- حبيبك استشهد يا بنتي وطلب من أصدقائه أن يزفوه

لك صرخت رحيل وركضت إلى جثمانه، والدها مصدوم هو وابتهال:

- ما دخل ابنتي بولدك؟

ظلت رحيل تصرخ وتبكي، أخبرها أحد أصدقائه بأن حساماً زوجها على سنة الله ورسوله، هذه وصيته، جنت والدتها وانصدم والدها، كان الخبر لهما كالصاعقة قالت:

- كيف ومتى تزوجها؟

ذهبت رحيل لتركض وراء جنازة حسام لكن والدها منعها لم يكن يصدق ما يسمعه، صفعتها والدتها فقدت الوعي، بعدما علم أهل مدينتها بالخبر صار الناس يتكلمون عن ابنته بأبشع الكلمات، أخبرت والدتها بأنها ليست زوجته على الورق فقط، بل أخذ أعز ما تملكه الفتاة، ظلت تضربها، أخذت ورقة العقد ليراها والدها، تفاجأ أنه نفس الشيخ الذي عقد عليه وعلى سها، تذكر ما فعله بسها، وكيف شوه سمعتها، وها هو الله فعل بابنته كما فعله بالمسكينة، بكى وبكت والدتها لأن الله فضحهم أمام جيرانهم وأقربائهم، بعد عدة شهور علمت رحيل بأنها حامل ولن تستطيع أن تكمل دراستها الجامعية بسبب حملها، بسبب كورونا مرض العصر، تعطلت الحياة والكل حجر نفسه وصارت الحياة بلا حياة، طلب والدها أن تنسى حساماً، وأن تتزوج من ابن عمها، لكنها رفضت لأنها تريد أن تكون زوجته في الآخرة، ظلت تلح عليها والدتها لكن دون فائدة، هربت من منزلهم وجلست عند والدة حسام وقالت:

- يا خالة أنا حامل من حسام

فرحت والدته لأن هذا الطفل بشرى خير لهما، إنه من رائحة ولدها حبيبها وقالت:

- أنا سأربي ولدي وسأجعل من والده قدوة له

غموض ملجأ

كان هناك ملجأً كبيرا للأيتام على أطراف العاصمة، يضم أعدادًا من الأيتام، وهناك أطفال مشردون، لم تمنحهم الحياة فرصة للعيش، في الملجأ العديد من الغرف ومجموعة من الإداريين، وحراس، وعاملون، وعاملات لتنظيف الملجأ، وطهاة من كلا الجنسين، الملجأ يضم عددا كبيرا من الطلاب والطالبات من كلا الجنسين، في هذا اليوم وفي تمام التاسعة صباحا، اتصل أحد المسؤولين وأخبرهم بأن باحثة اجتماعية سوف تأتي إلى الملجأ، وعليكم تهيئة الأولاد واستقبالها استقبالًا جيدًا، انقطع الاتصال، طلب المدير من مجموعة المدرسين والمدرسات قيامهم بالواجب عند حضورها،

انصرف الجميع لتحضير أعمالهم الروتينية، وصلت الباحثة، المكان شبه منعزل عن المدينة يحيط به غموض، سحبت نفساً عميقًا ودخلت قاعة المدرسة، صوب المدير نظراته إليها، استأذنت، ابتسم وهو يتلصص على أنوثتها، وصوتها الساحر، بحركة أنيقة أزاحت الكرسي إلى الوراء، سحبت خصلة من شعرها الأشقر المنسدل على خصرها، نثرت ابتسامتها على الحاضرين، شكرت الحضور لاستقبالها، ساد الصمت والهدوء في القاعة، الكل معجب بجمالها الساحر، وأسلوبها، وطريقة كلامها، قالت: أستاذ..
قاطعها المدير وبدون شعور قال لها:

- كل طلباتك مجابة

ضحك المدرسون، استشعرت المدرسات الغيظ منها، رمينها بسياط نظراتهن، تقدمت إحدى المدرسات رحبت بها، شكرتها على جمال ترحيبها، حضر أحد العاملين، طلب منها أن تخبره ماذا تحب أن تشرب، طلبت فنجانًا من القهوة، الجو تلفه البرودة، فهو بداية عام جديد، عرفت نفسها للحضور بأنها الباحثة الاجتماعية للملجأ، طلبت من المدرسين والمدرسات بأن يتعاونوا معها للكشف عما يعانيه أطفال الملجأ والمراهقون والمراهقات ومساعدتهم للخروج من أية أزمة تصادفهم، طلبت من مدير المدرسة، معرفة إذا كان هناك حالات غير طبيعية من طلاب الملجأ، أشعل المدير سيجارة وبعد أن نفذ الدخان، بدأ يقص عليها تاريخ المبنى على هذه الجزيرة، كان المكان رائعا، فهواء البحر المنعش يدخل من شرفات المبنى، أخبرها بجزء بسيط من تاريخ الملجأ والجزء المخيف منه احتفظ به في ذاكرته، أخبرها بأن هناك عدداً من أطفال الملجأ وبعض المراهقات يدَّعون بأن هناك أشياء غير طبيعية تحدث لهم رؤيا أشباح أو سماع أصوات غريبة داخل ممرات الملجأ، سألته إذا كان يؤمن بالأشباح؟ أجابها مستهزئا بأنها مجرد ظواهر خارقة للطبيعة تعود لنفسياتهم غير المستقرة شكلت طاقة سلبية لديهم، شكرته للمعلومات القيمة، وطلبت منه أن يدلها على مكان إقامتها

لأنها متعبة من السفر وطلبت منه أن يخبرها بكل شيء يحدث للأولاد، وأنها مستعدة لمساعدتهم ودعمهم النفسي، هز رأسه بنعم.. طلب من أحد العاملات مرافقتها لمكان إقامتها، ومساعدتها في حمل حقيبتها لأنها كانت تحتوي على ملابسها وبعض من كتبها، وأثناء السير داخل الملجأ سمعت صوت بكاء وصراخ لطفلة وهي في حالة سيئة، دنت منها وسألتها إذا كان هناك أحدٌ أزعجها، ردت الطفلة بأن مربيتها ضربتها، وعندما استفسرت من المربية، اتضح بأنها بللت فراشها، طلبت من المربية أن تحسن معاملتهم وعدم ضربهم، لأنهم مجرد أطفال وعليها أن تتحملهم، لأنهم فقدوا أهلهم وأنكرهم المجتمع وعليها أن تحلل نقودها، إذا فقدت الرحمة من قلبها، خرجت من غرفة الأطفال أدركت بأنها ستحارب كثيرا وعليها الوقوف بقوة لمواجهة قساة القلب، الذين ماتت ضمائرهم، كانت العاملة تسير بسرعة وهي تمشي خلفها ببطء كانت تسأل عن مكان المطبخ ومكان باقي المدرسات والمدرسين والعاملين والعاملات، تحاول أن تحفظ الأماكن داخل الملجأ، أخبرتها العاملة بوجود عدة غرف سفلية، وغرف عديدة في الطابق الأعلى للمراهقين والمراهقات، إلى أن وصلت إلى آخر الممر غرفتها المطلة على البحر، ارتاحت من عناء السفر بمجرد رؤيتها المنظر!! بعد تناولها طعام العشاء مع جميع العاملات والمربيات، سألتها إحدى المدرسات المقيمات في الدار عن سر قدومها لهذا المكان الذي يعده الأكثرية منفى، وهي شابة صغيرة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من العمر، أجابتها بابتسامة وقالت:

- شعرت بأن هذا المكان يحتاج لقدراتي والأطفال يحتاجون مني العطف والحنان، سمعت من أفواه بعض المسؤولين بأن مدير الملجأ رجل قاسٍ يعامل الجميع بهمجية، كما يشاع عن وجود أرواح داخل الملجأ، أحببت أن أخوض هذه التجربة وأبرز قدراتي لحل المشاكل النفسية التي يعاني منها الطلبة وربما جميع العاملين هنا..

طلبت من الجميع مساعدتها لجعل الملجأ مكانا آمنا وليس مكانا للرعب، ابتسم الجميع ابتسامة خبث واستهزاء بقدراتها، نهضت بهدوء وابتسامتها على شفتيها وقالت للجميع:

- طابت أوقاتكم بكل خير أراكم غدا إن شاء الله

أمسكت كتابها وهي ممددة على فراشها تقرأ رواية أعجبتها شعرت بتعب، أخلدت إلى النوم على فراشها، أطفأت النور بعدما أغلقت باب غرفتها بالمفتاح، فجأة سمعت أصوات طقطقة، قالت: ربما أصوات فئران تعبث بأغراضها، استغفرت وضعت رأسها على الوسادة، غفت رأت امرأة تتخبط في حمام الملجأ بينما يقوم شخص غريب الأطوار بضربها وخنقها في "البانيو"، حاولت مساعدتها انتبه الرجل لوجودها، اتجه نحوها للإمساك بها، ركضت بسرعة، نهضت مفزوعة والعرق يتصبب من جبينها رغم برودة الجو.. ذهبت إلى الحمام وهناك لمحت شبح امرأة تطوف في ممرات الملجأ، فركت عينيها لتجدها اختفت، ظنت أنها تتوهم وذلك كان مجرد كابوس لا وجود له في الواقع، لعنت الشيطان على وسواسه وقالت عليَّ أن أكون قوية، قرأت في سرها المعوذتين ليطمئن قلبها، عادت لغرفتها، ظلت جالسة تقرأ ما حفظته من آيات القرآن الكريم، سمعت آذان الفجر، صلت بعدها دخلت في نوم عميق، نهضت على صوت جرس المدرسة الكبير ذهبت مسرعة إلى مكتب المدير، اقترحت عليه ممارسة الرياضة الصباحية لجميع الطلاب، والحث على ممارسة هواياتهم من رسم وموسيقى للخروج من هذا الروتين الكئيب، في البداية لم يوافق لكنها أجبرته على الموافقة وهو يتلذذ بأنوثتها وصوتها الساحر، لم تستطع إخباره بما رأته وسمعته، احتفظت به لنفسها. ذهبت إلى الصفوف المنتهية؛ لأنهم بعد نجاحهم من هذه المرحلة، يغادرون الدار لتعصف بهم الحياة، ويعاصرون وحدهم مرارة الدنيا، سألتهم عن أحوالهم وحاولت معرفة أمنياتهم وعن أسرار ربما عاصروها أثناء دراستهم وإقامتهم هنـا في الملجـأ، أخبرتهـا هند بأنها يومـا ما كانت تجلس في الغرفة مع

صديقاتها حدث شيء أرعبها هي وزميلاتها قالت:

- رأينا كل أبواب المبنى تغلق وتفتح، بدون أي تدخل من أحد.. أخبرنا العاملات والمربيات لم يصدقنا أحد، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، عند الصباح ذهبت لإخبار المدير استهزأ بنا، وغضب منا، وعاقبنا بعدم الخروج من الغرفة إلا بأمر منه، وطلب من العاملات عقوبتنا لأننا كنا نسهر بدون علمهن!
- ما هي العقوبة التي عوقبتم بها؟

أجابتها والحزن يملأ قلبها:

- بحرماننا من الخروج لساحة الملجأ، متنفسنا الوحيد، بعض زميلاتنا جعلوا من الساحة مكاناً للعب وممارسة هواياتنا ومشاركة زميلاتنا بألعاب الكرة لكن المدير حرم الجميع من ممارسة أي نوع من أنواع الرياضة

قال موسى:

- رأيت مديرنا يوماً يحضر الأرواح في غرفته، ذهبت هناك عن طريق الصدفة للسؤال عن مادة الامتحان، سمعت أصواتا ورأيت بعيني نارا تخرج من غرفته.. ذهلت!! أيعقل بأن المدير ساحر!! انطفأت النار حين طرقت الباب فتح الباب، صفعني بقوة، وجدت نفسي مرميا على الحائط المقابل لغرفته، عاقبني وأخبر الجميع بأنني أتجسس عليه وهذا يعتبر مخالفا لقوانينه..

بعدما تحدثت مع الأولاد، شعرت بأنها مراقبة من إحدى العاملات وكانت تدعى سِهام، امرأة خمسينية سمراء تلف شالاً على رأسها انتبهت لها.. ابتسمت وتوجهت لها بالسؤال:

- لماذا تلاحقينني؟ هل هناك سؤال تحبين أن أجيبك عليه تفضلي هاتي ما عندك..

أحست سِهام بالخجل أمام الأولاد، قالت لها:

- يا بنتي أنا هنا لحمايتك

ردت عليها بابتسامة وقالت:

- لا أحتاج مرافقين هذا جزء من عملي وطبيعة عملي أسأل وأجيب

تركت المرأة واقفة في مكانها، خرجت مسرعة إلى ردهات لصغار السن، كانت الساعة العاشرة صباحا، أصوات أطفال ربما يبكون من الجوع وهم بعمر الزهور دون الخامسة من العمر سألت العاملات:

- من أين جاء هؤلاء الأطفال؟

أخبرتها إحدى العاملات:

- شرطة المدينة هم من وجدوا هؤلاء الأطفال، الأول وجدوه مرمياً في محطة القطار، والآخر وجدوه مرمياً في حمام مستشفى، والثالث وجدوه مرمياً في كيس للأوساخ
- ما أقساهم، إنهم مجردون من الإنسانية

دمعت عيناها وهي تتحدث عنهم، لا يملكون أي صلة من صلات الرحم لعنهم الله، واستمرت بالحديث.

- لماذا الآهل يخطئون وأطفالهم يتحملون مسؤولية أخطائهم؟

أما العاملة الثانية رمقتني بنظرات استغراب وسألتني بعصبية لماذا تكثرين بالأسئلة، وراحت تسب وتلعن كل أطفال الملجأ بأنهم أولاد خطيئة!! تركتهم وصعدت للطابق الأعلى أطفال يتشاجرون، لا وجود للمربيات، سألت بعض الأطفال:

- هل تشعرون بالأمان هنا في هذه الدار؟

كان هناك طفل لديه تأثير قوي وعجيب، لفت نظري فهو لا يهدأ كما لو كان هناك مهمة وعليه أن يتممها في أسرع وقت سألته عن معاملة المربيات لهم قال:

- سأخبرك بكل شيء يحدث، لم أعد أخاف منهم
- من يتجرأ على إخافتكم
- هناك أشياء تحدث لا نستطيع أن نخبر أحدا بها، وإن تجرأنا وأخبرنا أحدا، يعاقبوننا بأبشع العقوبات

همست بإذنه:

- هل رأيت حادثة غريبة؟ أخبرني بها لن أخبر أحداً أعدك بذلك
- لو علم المدير سيقتلني ويرميني طعاماً لشياطينه انتظريني في

الساحة الخلفية للملجأ، وسترين أشياء لا تتوقعينها، سأدلك على مكان تراقبين منه المدير، أنا اكتشفته عن طريق الصدفة!!
حاولت أن أعرف أكثر، سرعان ما حضرت إحدى العاملات وصاحت عليه، أنت مرة أخرى سأشكوك للمدير، أمسكتها من يدها وقلت:

- وما نوع الشكوى؟ وهو يتحدث معي بكل أدب
- كثير الكلام، يتخيل حدوث أشياء لا أحد يصدقها
- بالعكس أنا أصدق كل شيء وكفاكم ظلما وتعذيبا لهؤلاء الأولاد كنت أعتقد بأن كل من يعمل في مهنتكم يكون ذا قلب رحيم، ويختارونهم بعناية، أنا مصدومة في الجميع.. قال تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر" صدق الله العظيم، اليتيم يتأثر أكثر من غيره؛ لأنه محروم من حنان أبويه، لِمَ السب والضرب؟ سيتخرجون من الملجأ مجرمين

أكملت سيرها بأروقة المبنى كان بعض المدرسين يتحدثون عن سماع صوت فتاة تصرخ في الساحة الخلفية للملجأ، أثناء سيرهم للخروج من المبنى، وكانت الساعة الواحدة صباحا، تفاجأ أحد المدرسين للصفوف النهائية بأن إحدى طالباته لم تحضر الدرس، سأل عنها زميلاتها لم يتوصل لأي جواب، الكل خائف لا أحد يجرؤ على الجواب
قال الأستاذ مهند:

- هل الأرض ابتلعتها؟ سألت العاملات لا أحد رآها اختفت الفتاة وعلينا إبلاغ الشرطة! إنها مسؤولية وأنا لا أريد أن أقضي حياتي في السجن، ألا يكفي بأننا نعيش في سجن

قال صديقه:

- ما دمت لا تحب مهنتك لماذا تستمر بها
- لم أحضر للملجأ بإرادتي لكن أخطأت يوما في عملي وكانت عقوبتي هذا المنفى، لست الوحيد هنا بل هناك العشرات المحتاجون للعمل لجأوا إلى هنا للهروب من شيء ما، أو لحاجته للمال، علينا أن نقدم بعض التضحيات والتنازلات للمدير ليقبلنا

في رعيته...

- علينا أن نشكره لأنه يعطينا ثلاثة أيام من كل شهر للسفر إلى أهلنا، نشتاق لعائلاتنا وهو الوحيد المسكين الذي لا يأخذ أي استراحة
- لأن مديرنا غير متزوج رغم أنه يناهز الخمسين

ضحك آخر مستهزئا:

- هناك إشاعة تقول إنه متزوج من جنية، وهذه الجنية تحتفل معه كل ليلة بعد منتصف الليل، هناك أشياء تحدث لا تفسير لها.. أصوات تستنجد، أصوات ضحك ولعب، مركبات باهظة الثمن لمسؤولين معروفين، دخول وخروج حتى ساعات الصباح، يستقبل شخصيات مهمة لا أحد يعلم سره سوى الله

قاطعتهم بالتحية ردوا التحية بأحسن منها، رأيت تلك المرأة ذات الشال التي تدعى سِهام تتحدث مع المدير كأن هناك سراً بينهما، بعدما شاهدت وسمعت شعرت بالإرهاق، استأذنت من الجميع، وهي تسير في ممرات الملجأ كانت تحمل في ذاكرتها مجموعة من الذكريات والقصص، بعضها محزن وبعضها جميل لتعيش تلك اللحظات وهي في أحضان والدتها، تذكرت لحظة وصول الخبر لوالدتها بأنها قبلت كطبيبة نفسية في هذا الملجأ، وعليها أن تأخذ ابنتها معها أو تبقى الابنة عند جدتها لحين عودتها كل شهر، رغم احتضان جدتها لها إلا أنها شعرت بأنها حرمت من والدتها، وأحست باليتم لفقدها لوالدها، وصلت غرفتها وضعت كتابها على الطاولة وأسندت بظهرها على وسادتها، أغمضت عينيها مدت قدميها على السرير، غفت وعاد لها ذلك الكابوس ، تلك المرأة تتخبط في الماء، وذلك الرجل المجرد من الملامح يقوم بإغراقها، تحاول مساعدتها، نهضت مفزوعة وهي تصرخ بدون وعي، طرق أحد باب غرفتها، لمحت الساعة التي كانت بجانب طاولتها تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، تفاجأت كيف نامت كل هذه الساعات، نهضت وفتحت الباب، تفاجأت مرة أخرى برجل عجوز مجعد الوجه في

يديه قفاز أسود، يغطي شعره الشيب اعتلى وجهها الخوف، عادت بعض خطواتها للخلف سألته من أنت وماذا تريد؟ في هذه الساعة المتأخرة أجابها بأن المدير يريدها في غرفة مكتبه، للحديث عن اختفاء الفتاة، لمحت قدميه لا تلامس الأرض، بحركة غير إرادية أغلقت باب غرفتها بوجه الرجل وهي ترتعد من شدة الخوف، هل يعقل أن يكون هذا من الجن!! اصطدمت بالطاولة تبعثرت كتبها على الأرض، أحست بأشلائها تتبعثر، سقطت على الأرض، تماسكت لكيلا تفقد جزءاً من عقلها، لا تعرف أحداً لتلجأ إليه، ظلت تردد أنا قوية بذكرها بعض الآيات القرآنية، تماسكت، نهضت، فتحت الباب لم تجد أحدا!!، قالت هل ما زلت في ذلك الكابوس اللعين، أخذت كتاب الله معها لأنه الشيء الوحيد الذي يشعرها بالأمان، أحست بجوع، ذهبت إلى المطبخ كان الباب مغلقا، سمعت أصوات همس في الغرفة القريبة منها، طرقت الباب لم تجد أحداً فيها، أسرعت بخطاها بالصعود للأعلى، سمعت صوت بكاء لطفل فتحت الباب لم تجد المربية، والطفل يبكي ربما من جوع أو عطش، تقدمت نحو الطفل كان ملمسه ناعماً جدا كالقطن، كان يصرخ، صاحت هل من مغيث هنا يساعد هذا الطفل، طرقت الباب على الغرف المجاورة الجميع نائمون كالأموات، أمسكت أيديهم لعلهم يستفيقون من نومهم، كأنهم في غيبوبة، فتحت باب غرفتها تلك المرأة ذات الشال الأحمر، وسألتها:

- أين المربية لا أجدها في غرفتها؟ وهذا الطفل يبكي من جوع أو عطش، وأنا لا أعرف ماذا يريد؛ لأني لم أمسك طفلا أبدا بهذا الحجم!

طلبت منها المرأة أن تهدأ قليلا؛ لأنها ساعة متأخرة من الليل والكل نيام، قالت لها وكأنها تعلم بمكان المربية وحاولت التستر عليها، علمت المرأة بأن شيئاً أفزعها وعلامات وجهها تدل على أنها رأت شيئا خافت منه.. توجهت بنظرها حول أقدام المرأة!! نظرت بسرعة على قدمها لم تر شيئا سوى جلباب طويل يغطي قدميها سألتها:

- أين أجد بعض الطعام؟ المطبخ مغلق، لا أحد سألني إذا كنت جائعة أم لا، ولا أحد دعاني لطعام العشاء، نمت نوماً عميقا لم يحدث لي هذا أبداً، لم أشعر بالوقت إلا حين طُرق الباب أفزعني ذلك الرجل ذو القفازات السوداء طلب مني أن أتبعه إلى غرفة المدير، قلت: ماذا يريد المدير مني في ساعة متأخرة من الليل؟!

قاطعتها المرأة وقالت:

- يعني ماذا يريد "ضحكت وهي تقهقه" إنه غير متزوج ويريد كل يوم جارية جديدة.. لعله ملَّ من جواري الملجأ

صفعتها، انصدمت المرأة وفتحت عينيها بذهول، قالت لها:

- هل كان يريدني لشهواته، سوف أشكوه للمسؤولين

ابتسمت بخبث وقالت بصوت يرتجف:

- كان غيرك أشطر.. قبل عدة سنوات كنتُ أنا شابة في هذا الملجأ، وكانت هناك شابة أخرى قدمت من المدينة المجاورة للملجأ كانت طبيبة، بعض ملامحها تشبهك، قوية لا تخاف، طلبها المدير يوما، كان شاباً ميسور الحال، علم بأنها أرملة، ظل يلاحقها لتقع في مصيدته، طلب منها القبول به كزوج، لكنها رفضت حينها؛ لأنها أخبرتني بأنها تحب المرحوم زوجها وابنتها وأنها تريد أن تعيش بجانب ابنتها بعد وفاة والدها، لا يشاركها أحد وتبقى مع ذكرياتها، لكنه أصر عليها وهي كانت ترفض أي دعوة منه، طلبت مرة أمام الجميع بأن يكف عن مراقبتها وملاحقتها..

سرحت.. إنها تقصد والدتها، قاطعتها وقالت:

- ماذا حدث لها؟
- اعتبر هذا الطلب إهانة له، قرر أن ينتقم منها، الطفلُ شبع سأذهب إلى غرفتي، تعالي خذي بعض البسكويت، لا أملك سواه
- أريد معرفة المزيد عن الطبيبة
- حاربها كثيرا، بعد مدة قصيرة، سمعنا بأنها انتحرت في الحمام؛ لأنها كانت ترى وتسمع أشياء غريبة، مما أدى إلى انتحارها

خرجت من غرفتها.. المدير هو قاتل والدتي؛ لأنه الوحيد الذي يحاربها، وهو الوحيد الذي دفعها للانتحار، الآن علمت سبب الكابوس.. المرأة والحمام، ربما أحد قتلها والقاتل سيبحث عني، وسيفعل بي ما فعله بوالدتي وبغيرها، عليّ أن أجمع معلومات عن هذا الحقير الذي يدعي المدير.. خرجت من الغرفة وفي داخلها سعير لا أحد يستطيع إخماده راحت تردد "اللهم لا حول ولا قوة لي سواك". جلست في غرفتها تراقب ساعات الصباح، فتحت نافذتها المطلة على البحر، تذكرت ذلك الفتى، شهقت شهقة كيف نسيته! نهضت من فراشها، لبست ملابسها استعدت لمواجه المدير بكل ثبات، راحت تبحث عن الفتى، وقفت في ذلك الممر، سألت عنه تلك المربية التي كانت تهدده بأنها ستبلغ المدير عنه، ردت العاملة:

- الفتى مرض فجأة وكان الوقت متأخرا بلغت المدير أخذه إلى المستشفى، قال الطبيب علينا إجراء عملية الزائدة له مات الطفل أثناء العملية؛ لأن الزائدة انفجرت في بطنه..

صرخت وأمسكت المربية من رقبتها، وقالت لها وعيناها تدمعان:

- هل كنت سبب موته أم المدير؟! ماذا يحدث في هذه الدار؟ اختفاء فتاة، واختفاء طفل أراد أن يريني شيئا قتلتموه
- كيف قتلناه وهناك مدرسين كانوا مع المدير في المستشفى..

أبعدت العاملة يدها من رقبتها وقالت لها:

- أنتِ مريضة أو ربما تعانين من الإرهاق، "ست هيا" أنصحك أن تأخذي إجازة للراحة؛ لأن ما تقولينه خطير جدا، والمدير لن يسكت، إنها إهانة لكل العاملين هنا

خرجت مسرعة إلى الساحة الخلفية، حاولت البحث في كل مكان، لم تر شيئا ملفتاً سوى تلك الشجرة التي لم يقم أحد بقصها منذ سنين، كانت الأغصان متشابكة جدا، بحثت لعلها تجد ضالتها، رأت جميع نوافذ الملجأ تطل على الساحة الخلفية، جلست تحت الشجرة العملاقة تستعيد ما قاله الطفل لها عن الساحة الخلفية، ماذا كان يقصد جلال ذلك الطفل الذكي؟ هل كان يعلم بأنهم

سيقتلونه؟ لماذا نسيته؟ أخذت نفسا عميقا، ثم استعادت نشاطها، نهضت، رأت حبلا مجهزا داخل تلك الأغصان، آه إنه درج من الحبال ولأنه طفل يستطيع التسلق بسهولة، كان يرى ويسمع ما يدور في تلك الغرف من النوافذ المطلة على ساحة الملجأ، أخفت الحبل بحثت في كل مكان، وجدت صندوقا مغطى بالأعواد، والأغصان، لمحت أحد العاملين يقترب من الساحة، اختبأت بين الأغصان، بعد قليل حضرت واحدة من العاملات، ظلت تسترق النظر عليهما، لعلهما يخططان لشيء أو ربما من عشاق الدار، أسرعا بخطواتهما، رجعت للخلف قليلا، جلسوا بالقرب منها وراح يتغزل فيها، لكنها قالت:

- أنا خائفة جداً
- من ماذا؟
- حادثة الفتاة.. لا أعلم إن كنت أنا السبب
- ماذا فعلتِ؟
- سألني المدير عن الفتاة حينما كانت تلعب مع صديقاتها في هذا المكان، لمحها من غرفته، أشارت بإصبعها إلى الأعلى، تلك النافذة الصغيرة، هناك برج مراقبته..
- كيف يميز بين الفتيات من الأعلى؟
- قالت أنا أيضا في البداية كنت مصدومة كيف يستطيع أن يرى من مسافة بعيدة؟! لكني عندما دخلت غرفته رأيت أشياء غريبة، سريراً، وحماماً داخلياً، طلب مني أن أهيئ له المكان بعدما خرج من الغرفة، رأيت منظارا كبيرا، نظرت منه رأيت الفتيات وهن يلعبن بوضوح، كانت العدسة تكبر كل شيء صغير، كل شيء كان واضحا علمت أنه يراقب الفتيات وهن بعمر أولاده، اكتشفت شيئا أذهلني؟ شاشة كبيرة ظننت أنها تلفاز، فتحته ورأيت العجب، لو يعلم بأني كشفته سيقتلني؟ يراقب جميع غرف النوم، وحمامات الملجأ، أنه حقير جدا، كيف سولت له نفسه أن يراقبننا ونحن عرايا!! كاميراته في كل مكان..

تفاجأ الرجل فتح فمه من الدهشة أكملت حديثها:

- أغلقت الشاشة بسرعة، تفاجأت بقدومه، طلب مني أن أطلب الفتاة له، نزلت من الأعلى ناديت عليها، وقلت للفتاة المدير ينتظرك في غرفته، ترددت أزهار، أرادت مني أن أصحبها إلى الأعلى، ترجتني أن أبقى معها وقالت إنها تخاف منه لأنه يرمقها بنظرات دونية، قلت لها لا تخافي أنت بعمر أبنائه، ومن غير المعقول أن ينظر لكِ نظرة دونية عدت إلى غرفتي وأنا منهارة تماما، علمت أنه يراقب جميع الأشخاص في الملجأ، ربما الآن يراقبنا وسيرسل في طلبي للسؤال عنك

نهض الشاب فالح من مكانه وقال لها:

- لا تخافي، إنه في نزهة، خرج منذ الصباح، أنا فتحت له الباب الرئيسي، لكن من المحتمل أنه في طريقه إلى الملجأ خرج قبل السادسة صباحا.. أكملي ماذا حصل للفتاة
- لا أعلم خفت أن أسأله فيطردني من هذا المكان، وأنت تعلم لا مكان لي، رضيت أن أحيا بهذا المنفى؛ لأن زوجة أخي طردتني؛ ولأني لا أحب المشاكل قررت أن أعمل وأعول نفسي، سمعت من أحدهم بأن الملجأ يحتاج لعاملات قدمت طلبا وقبلت فيه.. بعد يومين سألت عن الفتاة زميلاتها، فوجئت بأن الفتاة اختفت.. عندما صعدت إلى المدير بعدها لم يرها أحد، لم تنزل من تلك الغرفة، سأل أستاذها عنها وقال للمدير بأنه سيبلغ الشرطة إنها حادثة، ربما خطف أو قتل لكن المدير ابتسم، وقال: أحد أقرباء الفتاة حضر وأخذها، وأنا متأكدة أنه يكذب، لا أحد يعلم سر اختفائها سوى الله

خرجت هيا من خلف الأغصان بعدما سجلت كلام العاملة سعاد في هاتفها وقالت لها:

- لا تخافي مني أريد مساعدة الجميع، علينا أن نجمع الأدلة ليقع في شر أعماله، أريد رقم هاتف الأستاذ مهند ليساعدنا! هو الوحيد الذي أثق فيه، ما دام المدير غير موجود أنت يا فالح

راقب لنا المكان فقط وأنا وسعاد نبحث داخل غرفته وغرفة المكتب، سأبحث في أوراقه لماذا الجميع يخافون منه؟ قال فالح ست هيا إنه يمارس السحر، ويتحدث مع الجن، مرة سمعته عن طريق الصدفة وهو في غرفته القريبة من غرفة مكتبه، يتكلم بصوت عالٍ يردد أسماء غريبة، وسمعت بأذني أصوات حيوانات داخل الغرفة عندما طرقت عليه الباب انقطعت تلك الأصوات، بعد عدة دقائق فتح لي الباب صاح، بوجهي "منذ متى وأنت تراقبني؟" أخبرته بأني لا أراقب أحدا، لكن أحد المدرسين أرسلني إليه

- ذلك الرجل ذو القفازات السوداء هل كان من الجن!!
- نعم.. كان يسير دون أن تلامس قدماه الأرض، بعد خروجه من غرفته أغلق الباب بالمفتاح، لم أر شيئاً بعدها نقلني إلى بوابة الدار، كنت أرى شخصيات وهم من الأغنياء يترددون عليه
- الآن وضحت لي الصورة، هو إنسان شاذ، تعلم السحر ربما منذ صغره، ربما شياطينه يسيطرون عليه، سمعت مرة من جدتي بالمس الشيطاني يدفع الإنسان لارتكاب جرائم قتل، هيا بسرعة قبل أن يحضر لنفتش المكان
- تعالى رأيت شيئا ربما يفيدنا كأنه صندوق أو باب مغلق لأني عندما رأيتكما قادمين نحوي، وضعت عليه بعض الأغصان وبعض الأعواد.. لنرى ماذا في داخله
- من أخبرك بوجوده؟
- هذا ما قاله لي جلال، أبعد الأغصان بسرعة ربما يكون بئرا مهجوراً أو ممرا كان عليه قفل كبير متصدئ

بحركة خفيفة من يدهٍ فتح الباب أشارت بإصبعها:

- هذا هو المكان الذي أراد جلال أن يخبرني بهِ!!

سمع فالح أصواتاً تتعالى، شعر بالخوف أن يعود المدير وهو غير موجود في مكانه، أخفت المكان بالأغصان والأوراق لحين عودته، طلبت منهما أرقام الهواتف للاتصال بهما عند الحاجة، أما أنا سأبقى

لبضع ساعات هنا، وعليكِ أن تحضري لي شيئاً من الطعام عند عودتك قبل أن يكشفني أحد، إنها فرصتي للبحث عن أي شيء ليقع في المصيدة، اذهبي إلى غرفته بحجة التنظيف، صوري أي شيء يفيدنا في التحقيق، مارسي أعمالك بهدوء، راقبي حركات العاملات خاصة في منتصف الليل، أكثر الجرائم ترتكب قبل بزوغ الفجر، ذهبت سعاد إلى غرفة المكتب، أما هيا أبعدت الأغصان والأعواد، فتحت الباب بقوة كأنها أسد جسور، نفايات ورائحة كريهة ملأت المكان، لم تستطع التحمل، تقيأت من الروائح العفنة، لم يكن بيديها الناعمتين سوى عود كبير كانت تحاول أن تنظف المكان لتستطيع أن تجد شيئا داخله، رددت لن أستطيع وحدي تنظيفه، عليَّ أن أتريث قليلا لحين عودة فالح، بإمكاني الآن أن أتعلم كيف أتسلق هذه الشجرة، لعلي أجد شيئا، بحثت عن الدرج المصنوع من الحبال، حاولت التسلق كانت تخاف أن تقع والكل يتساءل ماذا كانت تفعل هنا، لكنها أصرت أن تكمل ما بدأت، رأت مكاناً صغيراً في أعلى الشجرة يحتوي على فراش مهترئ وشيء ملفوف داخله لم تستطع الوصول إليهِ، لأن "جلال " كان صغيراً يتنقل على الأغصان بسهولة، تذكرت ربما يستطيعون مساعدتها هند وذلك الفتى في الصفوف المنتهية، تذكرت والدتها كانت تحمل الدنيا عيناها، كانت تحكي لوالدتها عن طموحاتها وشغفها بالحياة، دمعت عيناها قالت:

- ما زلت أحتاج قلب أمي، حرمني منها هذا الحقير

نزلت بهدوء وبسرعة خرجت من تلك الأغصان، لم يتصل بها فالح، وهذا يدل على أن المدير ما زال في الخارج، هرولت إلى الساحة الأمامية ودخلت إلى قاعة المدرسة لم تجد أحداً، خرجت مسرعة دخلت المدرسة، بحثت عن هند وجدتها مع بعض زميلاتها دعتها إلى ساحة المدرسة للحديث معها سألتها:

- هل كنتِ تعرفين "الفتى جلال " والفتاة "أزهار"
- نعم.. كنا فريقا واحدا، وذلك الفتى اسمه حمزة

طار قلبي من الفرح، قلت لها:

- لنكن فريقا ضد الظلم والفساد، أحتاج من جميع الأشخاص الذين تعرفينهم بأن يبلغوني عن أي شيء تعرفونه، أماكن سرية، معلومات، كل شيء يخطر على بالكم، أريد أن أعرف بعض الشفرات غير المفهومة؛ لنكون يداً واحدة لمعرفة ما يدور داخل وخارج الملجأ لننام ساعات قليلة في النهار ونبقى حذرين في الليل، عند بزوغ الفجر تكثر الجرائم، لنقاوم التعب قليلا، والآن سؤال ماذا تعرفين عن جلال؟

رأت إحدى العاملات ترمقهما بنظرات تعجبية، إنها المخبر السري للمدير وهناك العديد منهن، أكملت حديثها:

- علينا معرفة إذا كان حقا يمارس السحر
- عندما كنا أطفالاً كان يخبرنا بأنه تعلم السحر بمدارس معروفة في بريطانيا، وأنه قادر على السيطرة على عقولنا كان ماهراً في ذلك، رأته مرة إحدى الفتيات كانت تعاني من الآلام في بطنها رمقها بنظرة، نامت ولم تشعر بأحد وهناك عدة حوادث كل سكان الملجأ يهابونه!!

أصوات سيارات دخلت المبنى، لاحظت المدير ومعه شخصية إعلامية، كاميرات، وعدة عاملين يصورون المبنى، وهو يتكلم عن عمر الملجأ، ابتعدتُ عن هند، وأعطيتها رقم هاتفي، أخبرتني بأنها لا تملك هاتفا محمولا قلت لها احتفظي به، ربما تحتاجينه يوما.. رحبت بالقناة، صافحني الرجل عندما علم بأني الباحثة الاجتماعية، طلب مني تقريرا عن حالة الطلاب النفسية، لم أخبره بما يفعلونه بهم؛ لأني لا أملك الأدلة، وأخاف أن أخرج من هذا المكان، ويكون الأطفال هم الضحية، أخبرته بأننا أسرة واحدة وأني ما زلت جديدة لا أعرف الكثير، كان المدير يسمعني ابتسم لي ابتسامة رضى، كنت أريده أن يطمئن وفي نفس الوقت أخاف أن أكون ضحيته الجديدة، سمعته يتحدث مع الأساتذة ويطلب منهم أن يأخذوا مكانه لمدة يومين فقط، فهو مدعو لحفل تتويجه؛ لأنه من أبرز الشخصيات الداعمة للأيتام، والمحبة للسلام، أدهشتني وقاحته، القاتل يلقبونه

بداعم للسلام والأيتام، وهو يبطش ويقتل وينتهك الأعراض، عديم الإنسانية يأخذ جوائز عدة من ضمنها سفير السلام، بكيت في داخلي، كأن أوصالي تقطعت، شعرت بالاختناق، اعتذرت من الجميع، خرجت خارج السور، جلست وحدي عند صخرة كبيرة جدا، محفور عليها عدة رموز لم أفهم شيئا منها، دونتها في هاتفي لعل أحداً كتبها ربما تعني شيئا، عند جلوسي أمام البحر شعرت بقليل من الراحة، حاولت أن أجمع كل شئ مخزون في ذاكرتي، موسى، حمزة، جلال، أزهار، سهام، هند، فالح، هؤلاء مجموعة لا بأس بها، وربما هناك الكثير يحاول مساعدتنا، كانت النوارس تحلق فوق المياه، تأثرت بالمنظر، كانت السماء صافية، تجللت السماء فجأة بالغيوم السوداء، إنها تنذر بعاصفة أو ربما أمطار غزيرة، إنه فصل الشتاء الذي أعشقه، وقفت أحاكي البحر كأي واحد منا تضيق عليه الأرض فينكمش، وحين يسخر الله له الغيوم ينفرج ويتوسع، لكنه غدار كمديرنا، عندما تساعده في عمل الرذيلة، يغرق كل ما ألقي فيه، من عاملين ومشرفات وطلاب المهم لن أتنازل عن حلمي، سأكون مديرة الملجأ وسأغير كل الموجودين فيه، الله سيكون معي، وكل الأديان تصب جميعاً في البحر نفسه، كل الأديان تحارب الشر والكفر والرذيلة.

نزلت قطرات من المطر على شعرها الأشقر نظرت للسماء وابتسامتها لا تفارقها، وهي تترقب الغيث، آه إنها بشرى خير، نهضت على عجل دخلت الملجأ أثناء دخولها رمقها المدير بنظرة دونية وقد تبللت ثيابها فالتصق فستانها بجسدها، ظهرت مفاتنها وقف أمامها حاول أن يحدثها ليرى أكثر، همس برفق تفضلي إلى غرفة مكتبي، في الداخل مدفأة حاولي أن تجلسي بقربها، حاولت أن تهرب من نظراته شكرته وقالت:

- عليَّ أن أغير ملابسي

فرح كثيراً قال بخبث:

- عليَّ أن أعد حقيبتي لأني سوف أسافر اليوم، وقبل سفري بلغت

الجميع باجتماع عاجل، أريد من الجميع الانضباط والتقيد بجميع الأوامر، سيكون لكِ الحصة الكبرى في غيابي عليك بالطالبات، والمدرسون حصتهم الأولاد، والمربيات الأطفال

اعتذرت وسارت مسرعة؛ إنه يريد أن يطيل معها الحديث وهو يفترسها بنظراته وهي تسير في ممرات الدار تذكرت الكاميرات، قالت في نفسها

- أبتسمُ لأنه سيراني وأنا أخلع ملابسي، آه كم هو سافل وحقير، عليّ أن أجد مكان الكاميرات عند خروجه

اتصل بها فالح:

- أنا آسف ست هيا، حصل شيء لي لم أجد هاتفي اختفى، وجدته قبل دقائق مرمياً بالساحة الخلفية عند دخول المدير بحثت عنه لأبلغك لم أجده حينها، قالت لا عليك، اليوم موعدنا الثانية عشرة بعد منتصف الليل سنعمل ونكشف الخفايا، اليوم موعد سفره وعلينا أن نتكاتف لنكشف الأسرار قبل عودته، ما اسم حبيبتك
- اسمها سعاد
- إذن بلغها وأحضر معك آلات الحفر

لم تخلع ملابسها، فتح شاشته، قرب الصورة وجدها تجلس أمام موقدها تدفئ نفسها قال:

- ماذا يحدث لها؟ منذ وصولها للدار وهي لا تخلع ملابسها تنام وتعمل بنفس الثياب، هل كشفت سر الكاميرات؟ أم ليس لديها ما تلبسه؟ الحقيبة كانت ممتلئة أنا رأيتها وهي تحملها، كانت تدرك أنها مراقبة أرسل لها بعض الملابس لإغرائها مع خادمته سِهام، وقال لها:
- عليك أن تعطيها هذه الملابس، لا تخبريها بأنها مني لأنها سترفضها دعيها تخلع تلك الثياب، أريد أن أصورها وهي عارية، أحتاج مساعدتك
- وإن رفضت يا سيدي ماذا أفعل؟

- عند عودتي سأخبرك ماذا علينا أن نفعله

قهقهة بصوت مسموع دنت منه فهي كانت تعشقه وقالت:

- بماذا تكافئني!!
- قبلها وضمها بين ذراعيه وقال لقد كبرتِ لكني لن أستطيع الاستغناء عنك

فرحت لأنها لا تملك أحداً سواه، فهو حبيبها الذي كان يستغلها لخططه ولفجوره، همس بأذنها وهو يلعب بخصلات شعرها:

- سأتزوج يا سهام، وتكونين سيدة الملجأ، أنتِ الوحيدة التي أحبتني بصدق، رغم أنك تعانين من الغيرة، لكنك صبرتِ وتحملتِ لأجلي الكثير، لكن ليس قبل أن أستلذ بتلك المُدرسة، أريدها منك عربون محبة، وأنا أعاهدك أن أشتري لكِ قصرا في المدينة، وأتزوجك في السر وإن أخلفت العهد تستطيعين أن تشهري بسمعتي

ابتسمت وقلبها يرقص من الفرح، وبحركة ضمته بذراعيها، قال:

- هيا اخرجي قبل أن يراك أحد، وإن سألك أحد من عاملات الدار أخبريهم بأنكِ كنتِ ترتبين غرفتي وتجهزين أغراضي للسفر

هزت رأسها بنعم.. خرجت ومعها بعض الثياب الفاخرة، طرقت الباب، فتحت ودخلت بسرعة وقالت:

- هذه بعض الثياب أبيعها للمدرسات في الدار، استرزق منها، إن كنتِ لا تملكين نقوداً لا عليك متى استطعتِ دفعها ادفعي مبلغاً ضئيلاً، لا يهمني وعندي بعض الإكسسوارات أشتريها من المدينة المجاورة، أبيعها للمشرفات وأحيانا أهديها للطالبات هن بعمر بناتي، لو تزوجت وأنا شابة لكانوا أولادي بعمرك يا بنتي.....
- أشكرك لست بحاجة للثياب، لكني متكاسلة، أعلم أن ثيابي ليست نظيفة، لا عليك أنا أعرف كيف أدير أموري

ظلت واقفة وقالت:

- إنك تذكرينني دائما بالطبيبة النفسية لا أعلم لماذا!!

- "ابتسمت".. ألهذا الحد أشبهها؟

رمقتها بنظرة خبيثة قالت:

- عنادك وإصرارك يشبهها، عليَّ الخروج، خذيها وحاولي أن تلبسيها وترتاحي، وإن كانت ملابسك غير نظيفة يوجد حمام فاخر بغرفة المدير بناهُ قبل سنين يريح جسدكِ حمام حار وكل أنواع الراحة موجودة فيه

ضحكت وسألتها:

- وحمامات الملجأ لماذا لا يتوفر فيها أدوات الراحة؟

شعرت بصداع يكاد أن يفجر رأسها، قالت:

- اسمعي أنا لم أطلب منكِ النصائح، ولا أريد شيئا من أحد، دعيني أغلقت الباب، سمعت طرقا، فتحت بغضب، كانت سعاد، تنفست بهدوء وقالت سعاد:

- أحضرت لك الطعام سيدتي

شكرتها وطلبت ألا تنسى الموعد. اجتمع المدير بالهيئة التدريسية، أعطى كل شخص دوراً أثناء غيابهِ، جميع المدرسين جلسوا يمازحونه بعدها جاء موعد السفر، رافقه بعض المدرسين إلى السيارة، تمنوا له سلامة العودة، جلس في المقعد الخلفي، وظلت عيناه لا تفارق هيا، الكل انتبه.. أغلق أبواب الملجأ، فرح الجميع، كان وجوده كابوسا، علمت أن الأكثرية يكرهونه، كانت الساعة تشير إلى السابعة مساء، طلبت من سِهام أن تصعد إلى غرفة الأطفال؛ لأنهم بحاجتها، عرفت من فالح بأنها تساعده وعليَّ أن انتبه لها، خرجت مسرعة تبحث عن موسى وحمزة وهند، هؤلاء جيشها، وصلت إلى غرفة الطالبات سألت عن هند أخبرتها صديقتها بأنها خرجت لترى والدتها قبل أن يحضر المدير؛ لأنه منعها، تعجبت وقالت:

- أين والدتها
- لم تخبرني بذلك
- وكيف تزورها!!

- إنها من الطهاة امرأة أربعينية مطلقة، لا تملك غير ابنتها هند، وليس لها أحد في المدينة، حضرت ابنتها معها المدير يمنعها من زيارة والدتها
- لماذا وأين يسكنون الطهاة، ثقي بي لا أخبر أحداً
- إنهم تحتنا

توسعت عيناي من الدهشة، وقلت:

- كيف أستطيع أن أذهب إلى هناك؟ ألا يوجد طريق؟
- لا.. لا يعلم به سوانا أنا وبعض الفتيات والفتيان، لكني أخاف أن يرانا أحد، علينا الحذر سأخبرك بالمكان.. في القاعة الكبيرة للملجأ هناك باب صغير، وفي الساحة الخلفية باب آخر صغير ندخل ونخرج منذ سنين، أما باب القاعة عليه بعض الرموز لم نستطع فكها، من ذلك الباب يدخل المدير ويعرض عليه طعام العشاء يشرف على تحضيره هو بنفسه، اكتشف المكان عن طريق الصدفة، حبس أحد الأولاد في هذه القاعة ونساه، وعندما سمع باب القاعة يفتح اختبأ في مكان لم يره، فتح الباب بأزرار سرية، وشاهد الفتى بعينه
- ألا تعرفين ما اسمه
- إنه طفل مشاغب اسمه جلال
- "شهقت" أعرفه! أكملي
- بعدها أخبرنا بمكان الجدار، أقصد الباب كان على شكل جدار، لا أحد يستطيع أن يميزه، أما الأزرار موجودة لكن لا أحد يدقق، لولا الفتى ما عرفنا مكانه؟
- إذن علينا أن نذهب إلى الساحة الخلفية لكني كنت في الساحة الخلفية ولم أعثر على أي جدار، سوى تلك الشجرة العملاقة
- لم تدققي في المكان لأننا نغطيه بأوراق الأشجار وبملابس قديمة رميناها هناك لإخفائه
- إذن سأذهب أنا
- سأرافقك إلى هناك لأنك لا تعرفين ممراتنا السرية، علينا أن نأخذ

هذا المصباح معنا ونحاول ألا نفتحه إلا بعد أن ندخل
- نعم.. اذهبي وأنا أسير خلفك، إذا حدث شيء في الطريق سأنبهك
- "بهدوء" ما اسمك
- سمراء

ضحكت تمازحها قالت:
- اسمك سمراء وأنتِ بيضاء شيء عجيب!!

كان الجو في الخارج برقاً ورعداً، الجو ممطر، عليهما أن يسرعا سمراء كانت في المقدمة، "هيا "كانت تتلفت يمينا ويسارا، تخاف من ملاحقة سِهام لها أو أي شخص مجهول، عملاؤه كثيرون.. وصلتا المكان وهما مبللتان، أشعلت ضوء مصباحها الخافت؛ لأنها تخاف أن يراها أحد من النوافذ التي تطل على الساحة، تأكدت بأن كل النوافذ مغلقة، دخلت إلى داخل الشجرة بيديها الصغيرتين تبعد الأغصان عن وجهها، كان الباب الصغير يبعد عن الشجرة أكثر من عشرين متراً، أبعدت القطع القديمة ملابس وأغراضاً خشبية، قالت:
- مدام المدير غير موجود نستطيع الدخول والخروج
- كيف؟ من أغلق الباب خلف هند؟
- أنا وزميلي حمزة نحن الوحيدون من يعلم بأمر هند، فتاة مجتهدة وذكية، الجميع يحبها؛ لأنها تساعد الجميع، أما الآن لا نستطيع إغلاقه؛ لأن الجو ممطر لا أحد يخرج للساحة في هذا الوقت، الجميع يحتفل بخروج المدير، لا أحد يحبه سوى المستفيدين من خدماته

نظرت لها إنها تحدثني بأمور أكبر من عمرها، عندما دخلنا الممر ارتعبت لأنه ضيق، مظلم مخيف، كان قذرا سمعنا بعض الأصوات كأصوات المدرسين والمدرسات، نمشي ونسمع أصوات أطفال تأتينا من بعيد، قلت:
- كيف نسمع وهم في الأعلى
- مكتب المدير كنا نسمعه من تلك "أشارت بأصبعها إلى الأعلى"

- كيف؟
- من فتحات التهوية نستطيع أن نصل لأبعد الأماكن ونستطيع أن نميز الأصوات

كان الممر طويلاً ومتعرجاً، وصلنا إلى نهاية المكان أشارت بيدها:

- هذا هو باب المطبخ مغلق

دقت الباب ونادت:

- يا سعدية أين أنتِ افتحي الباب

ظلت تطرق على الباب قرابة خمس دقائق، بعدها فتحت الباب هند فتحت فمها وقالت:

- أنت!

قلت لها بكل حنان:

- لا تخافي مني، عرفت كل شيء، أريد أن أرى والدتك، بلغيها بأني أريد أن أساعد الجميع وأحتاج لمساعدتها
- كيف تساعدك وهي حبيسة في هذا المكان
- أريد أن أرى المكان من الداخل

دخلت هيا والفتيات، صورت المكان، أشارت إلى الغرفة:

- إنها غرفة والدتي

دخلت الغرفة، طلبت من الفتيات أن نبقى وحدنا، دخلت بعد سلامي عليها، عرفتها بنفسي وقلت:

- حضرت للدار لمساعدتكم

كانت امرأة يبدو عليها التعب والإرهاق، سألت عن عمرها

- خمس وأربعون

لكنها كانت تبدو أكبر من خمسين عاما، أسنانها الأمامية مكسورة، لا تلفظ بعض الحروف، سمراء يغزو شعرها الشيب، سألتها:

- كيف حالك؟ ومنذ متى وأنتِ في هذا المكان؟
- عندما طلقني زوجي، اضطررت للعمل لأعول نفسي وابنتي، وجدت إعلاناً في المدينة، كان الإعلان عن العمل بالملجأ، لكن من شروط العمل أن تكون غير متزوجة، إما مطلقة أو أرملة

حضرت للدار بصحبة ابنتي، شرحت له قصتي، وافق على عملي معهم، على أن تعيش ابنتي بعيدة عني مع باقي الأيتام، وافقت لأني لا أملك مكانا آمنا لها

- ماذا تعرفين عنه؟ هل حاول يوما التقرب منك؟ أنا أعرفه كما تعرفينه أنتِ

- نعم..

راحت تمسح دموعها وتنظر إلى الباب، تخاف أن تسمعها ابنتها همستُ بأذنها وقلت لها:

- عليكِ أن تخافي على ابنتك، وعلى باقي البنات، أخبريني ما تعرفينه عنه وأنا أساعدك بالهروب أنتِ وابنتك من هذا المكان، أخبريني ماذا يجري للفتيات، قبل فترة اختفى الصبي جلال

- يا ويلي كيف؟

بكت عليه.. قلت:

- هناك العشرات منهم يتعذبون ولا أحد يجرؤ أن يفضحه

أخبرتها أنه خارج المبنى، وأنها فرصتنا لتدميره، فرحت المرأة وآمنت بكلامي قالت:

- سأخبرك.. أخبرتني ابنتي بأنك طيبة، كنا شابات قبل عشر سنوات عند دخولي إلى الملجأ، حاول معي كثيرا لكني نبهته بعدم مضايقتي؛ لأني أكره جميع الرجال، وأخبرته أني مريضة لا أصلح لشيء، أرسل عشيقته سِهام لطلبي قلت لها صداع في رأسي ابتعدي عني قالت: خذي هذه الحبة إنها للصداع، إذا كنتِ لا تكذبين خذيها، أحضرت لي كوباً من الماء، أخذت الحبة وشربتُ الماء، بعدها كنت في غيبوبة، وبعد عدة ساعات حضرت زميلة لي، لأني تأخرت عن المطبخ جاءت لتنبهني، رأتني مغمى عليَّ بدون ملابس، أغرقتني بالماء لأستعيد الوعي، فتحت عيني كنت كالسكران، لا أستطيع أن أرى بوضوح، قالت: أنا سعدية انهضي ماذا جرى؟ أخبرتها بسِهام والحبة، علمت بأن المدير حضر لغرفتي بمساعدة سِهام له، مجرمة حقيرة مثله،

اعتدى عليَّ وأنا فاقدة للوعي، بعدها أمسكتها وضربتها على فعلتها، هددتني بأنها ستفضحني، أخبرتني بأنها تتلذذ وهي تصورني، كانت شاذة لعنها الله، صرت أسيرة في الدار حسبنا الله، مقيدون هنا والمفتاح بيده، بعد فترة كشفتهم سعدية فتاة ريفية تشبه الرجل، لا تملك مقومات الجمال، كل يوم عندما يشرف على طعام العشـاء يضـع في الطعـام شيئا لا أحد يعرفه أنها حبـوب مخدرة الجميع يتعاطى لكن لا أحد يعلم بهذا السر

سرحت هيا وقالت:

- ذلك اليوم تناولت شيئا في قاعة المدرسة بعدها أغلقت باب غرفتي ونمت نوما عميقا كأني في غيبوبة

أحست بالاختناق قالت:

- الله سترني.. أكان يريد أن يعتدي عليَّ
- كل شيء جائز
- لكن في ذلك اليوم جاء رجل كان هناك من يدفعه لم تكن قدماه تلامس الأرض هل كان من الجن!!
- سمعت أنه يستطيع أن يحضر الأرواح في غرفته وهناك عدة شخصيات معروفة يزورونه يمارس السحر، لأنني كنت كلما أهدد سِهام تقول لي إنك حبيسة للجن..

هز سريرها،فتحت النوافذ،صوت البرق يشق الأذان،صرخت مفزوعة:

- إنهم قادمون لقتلي
- لا يوجد أحد إنك تهلوسين

رأيت سريرها يهتز بقوة أدهشني المنظر طلبت المساعدة، قرأت ما حفظته من سورة الجن، حضرت سعدية والبنات، فُتحت النوافذ وأُغلقت كأن الجن كان معنا في الغرفة عند سماعه للتلاوة هرب قلت لسعدية ابتداء من اليوم افتحي كتاب الله كوني قريبة من الله لتكونوا بأمان مهما كان جبروتهم وقوتهم وخبثهم الله أقوى منهم حاربوهم بالقرآن إنه شفاء لكل داء..

سجلت ما دار بينها وبين والدة هند، طلبت من هند وسمراء

الخروج أمامي وهن يتلون المعوذتين، قالت:

- أريد مكانا آمناً أضع فيه كاميرا في غرفته لأرى ما يجري هناك، أريد دليلا قويا لأدانته
- يستطيع موسى وحمزة مساعدتنا
- أريد أحداً يسرق لي مفتاح غرفة المدير، أنا متأكدة سِهام تملك المفتاح، أريد منكن خدمة أخرى، السن بالسن، والعين بالعين، والبادي أظلم، كما فعلت بالآخرين أريد منكم أن تضعوا في طعامها مخدرا لا أريدها أن تستفيق من غيبوبتها إلا بعد انتهائنا من وضع الكاميرات، وأنا سأتحدث مع شاب أثق به سيحضرها لي غدا، أريد مساعدة الجميع فالح وسعاد موعدنا اليوم الساعة الثانية بعد منتصف الليل عند البئر..
- كم الساعة الآن؟
- إنها العاشرة.. لنذهب إلى الداخل إني أرتجف من البرد

هناك في الأعلى شيء لم أستطع أن أصل إليه مكان الفتى جلال، كانت هناك بعض الأغراض.. ربما خبأ شيئا هناك!! دخلت إلى داخل الدار أصوات ضحك وفرفشة من غرفة المدرسين والمدرسات، إنهم يحتفلون وغير مصدقين لأن هذا اليوم مختلف كما قالت الست أروى، كل يوم كأننا دجاج ننام بموعد حدده المدير وننهض بموعد، أصابتنا الكآبة من هذه الدار، البنات ذهبن لغرفة سِهام، اتصلت بفالح قال كل شيء تمام، البرد قارص في الخارج، طلبت منه رقم هاتف الأستاذ مهند، أرسلها برسالة، حفظته في هاتفها اتصلت به، طلبت منه الخروج من الغرفة وعرفته بنفسها قالت:

- انتظرك بقاعة الطعام؛ لأني لم آكل منذ الصباح لا أثق بأحد أحتاج لمساعدتك، انتظرك

أغلقت الهاتف جلست في قاعة الطعام، أكلت بعض من الفواكه حضر الأستاذ، رحبت به وهي تراقب المكان قالت له:

- عليك مساعدتي لأنك الوحيد الذي هدد المدير بالشرطة، عند اختفاء أزهار الفتاة الشابة

- وما زلت أبحث

كان متخوفا منها، لكن أطمئن لحديثها عند سماع تسجيلها لفالح والفتاة تحت الشجرة وقال:

- كيف أساعدك؟
- غداً سيحضر شاب ليضع لنا الكاميرات، أريد منك إخبار الجميع بالذهاب إلى الشاطئ للنزهة، قبل عودة المدير إنها فرصة والباقي دعه لي، إذا كنت تريد مساعدتنا عليك بالحضور في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، قرب الشجرة العملاقة هناك أشياء عليك رؤيتها، أحذر أن تبلغ أحداً لا نعرف من منهم مع المدير لديه العديد من المراقبين السريين

نهض شكرته لحضوره اتفقا على نصرة المظلومين. قبل الساعة الثانية عشرة الجميع كان تحت الشجرة العملاقة صعد موسى، أما فالح وحمزة كانا يحفران ذلك البئر، وصل موسى المكان، استطاع أن يأخذ ما كان هناك من أغراض كانت المفاجأة.. دفتر ولعبة وموبايل، حاول مهند أن يفتحه، أما أنا فتحت الدفتر كان لجلال رسومات مخيفة ربما كان يعبر عما يراه، صورة لغول مخيف أو شيطان، ربما كان يرى أشياء مخيفة كما شاهدت أنا، أرقام غير مفهومة ماذا كان يقصد صورت الدفتر دمية كانت محشوة برسائل تنبيهية لفتاة تطلب النجدة تقول:

- سيقتلني أشعر بذلك إنه يلاحقني في كل مكان، من يعثر على دميتي إذا كنت امرأة أو رجلاً أرجوك بلغ عن سعيد إنه يهددني، لقد دمر حياتي

ورقة أخرى..

- مارس معي ومع غيري من فتيات الملجأ

رسالة أخرى..

- إنه يتاجر بنا ويقبض الثمن من المسؤولين

وذكرت أسماء البنات اللواتي تم بيعهن للمسؤولين، فتحت فمها من الدهشة، ارتعشت هند وسمراء، ضغطوا على يدي أمسكتهم

ليشعروا بالأمان، مهند مذهول الآن عرفنا سبب زيارة المسؤولين للدار، وعن اختفاء الفتيات رسائل عديدة من فتيات الملجأ البالغات، قرأت رسالة أخرى تقول:

- الفتاة ع .م كنت بعمر الثانية عشرة، لم أبلغ بعد وأنا في الحمام سمعت صوتاً أرعبني أطفأ النور فجأة، شعرت بقدوم أحد نحوي أردت أن ألبس ملابسي لم أستطع كأن أحدا كبلني من يدي، أطاحني أرضا أغمى عليَّ، بعد قليل عدت لوعي كنت مربوطة اغتصبني سعيد، قاومته لا أستطيع العيش بعدها، خرج وبعد برهة من الزمن دخلت سِهام فكتني من قيودي، ونبهتني بألا أخبر أحداً، عندما كبرت علمت أن ما فعله بي حرام وعليّ أن أخبر الجميع، علمت اليوم أنه فعل بجميع بنات الملجأ البالغات ما فعله بي، حين تنتهي صلاحيتنا يبيعنا في سوق النخاسين، يتاجر بنا نحن وبقية الأطفال، كان المسؤولون يزايدون علينا كأي بضاعة، بعض صديقاتي هربوهن إلى الدول المجاورة باعوهن بأربعة آلاف دولار، والجميلات أكثر، أما الأطفال الأذكياء كان يبيعهم للخارج بمساعدة بعض المسؤولين

اندهش الجميع، صاح فالح:

- تعالوا شاهدوا ماذا وجدت؟ كتبا وطلاسم وعظام حيوانات

اشتد الرعد، فتح خلدون الكتاب، تعالت أصوات غير مفهومة، كان الكتاب نصفه مهترئ، صرخ فالح:

- إنه كتاب لتعليم السحر

اقشعر بدني.. صرخت سمراء

- أغلقه، هذه الأصوات تأتي من الكتاب أرجوك ادفنه

ابتسم خلدون وقال:

- لم أكن أعرف بأنك ضعيفة

تدخلت هند، راحت تقرأ بعض الرموز، أشعلت نارا في ذلك المكان أحرقت بعض أغصان الشجرة، اهتزت الأرض، ركض الجميع، أخذ مهند الغصن المحروق وأشعل الكتاب صورت هيا كل ما جرى، بلغ

مهند أحد الضباط من أصدقائه ما سمعه وشاهده، اعتذر لأنه يعرف بأن المدير مسنود من جهات عديدة في الدولة ينسقون أعماله، شخص واحد لا يخافه إنه القاضي "صباح" هو الوحيد الذي استطاع الوقوف أمامه، قبل سنوات اتهمه بسوء رعايته للأطفال، لكنه كان ينقصه الدليل، أما أنا لا أستطيع أن أغامر بوظيفتي وأهلي، نظرت إلى الساعة كانت الرابعة صباحا علينا أن ندخل وغدا نكمل حديثنا، أما موسى كان يستمر بالحفر وجد ضوءاً أمامه كأنه نافذة صاح عليهم:

- إني أرى نوراً من هنا، توجد فتحة كبيرة في هذه الحفرة وصلت إلى نافذة المطبخ، إني أرى الأشخاص بوضوح

قال مهند:

- هيا لندخل قبل نهوض العاملين والعاملات أنا تعبت، كلنا متعبون، اخرج يا موسى واجلب معك الأغراض، أغلقوا المكان كما كان، هيَّا لندخل

توجه الجميع إلى الداخل، قالت " هيا ":

- هند وسمراء ستنامان بغرفتي، يا أستاذ لا تنس السفرة في التاسعة، سيحضر أحد زملائي لوضع الكاميرات، أطلب منه إتلاف كاميرات المدير؛ لأننا جميعا مراقبون

اتفق الجميع، دخلت غرفتها والبنتان معها، لمحت شبحاً خرج من غرفتها، أغلقت عينيها ثم فتحتها قالت للفتيات هل ترون ما أرى أجابت هند لا أرى شيئا، هناك أحد خرج، ربما أنت مرهقة يا "ست هيا"، سمراء أنا شعرت بشيء كأن أحداً مر من أمامي، ربما أرواح الفتيات المقتولات تهيم حولنا.. تذكرت والدتها أنها أيضا من ضحاياه، توكلت على الله ونامت.

في هذا الصباح كل شيء كان مختلفاً تماماً، شمس مشرقة دافئة تنثر أشعتها لتدخل من شقوق النوافذ القديمة، كالسجون المظلمة لابد أن يكون لها حصة من الضوء، روت الغيوم أمس قصة الظلم بدموع الأطفال المظلومين، كانت العاصفة تجتاح المدينة، تعم الفوضى

كقارب مهجور تهزه أمواج البحار، إلا أن الله ترك رسالة لشجرة الميلاد لا بد للظلم أن ينجلي، الجميع يتخطى المأساة، ستعود الحياة جميلة للجميع، نهضت من فراشها، البنتان سبقاها بالنهوض أحضرت هند الفطور، سألت عن سمراء، أخبرتها بأنها وضعت لسِهام المخدر في فنجان قهوتها وهي الآن في غيبوبة، أهدتنا سعدية بعض الحبوب المخدرة أما موسى وحمزة اتفقا مع طلاب وطالبات الملجأ على أن يقنعوا المدرسين والمدرسات بالخروج للنزهة لأن الجو رائع كأنه الربيع قبل حضور المدير ويعكر لهم حياتهم أقنعهم الأستاذ مهند بفكرة الخروج للشاطئ القريب من الملجأ، وافقت المدرسات والمشرفات على أن يعتنوا بالأطفال الصغار، هيا وبعض العاملات يبقين في الملجأ؛ لأنها تشعر بوعكة صحية، لا داعي للقلق، وأنا وفالح وبعض الطلبة نصلح بعض الأشياء التالفة من الكهربائيات وإعادة تدوير بعض الأشياء للاستفادة منها، طبطب معاون المدير على ظهره، وقال بارك الله فيكم، خرج الجميع من الدار اتصل مهند بالقاضي صباح، شرح له ما يدور في هذا المكان من ظلم وشعوذة، وكل شيء يخطر على باله، اتصلت هيا بزميلها قال تمام سأحضر حالاً.. أما سمراء فتشت أغراض سِهام وأخذت مجموعة مفاتيح وهاتفها، أغلقت الباب عليها وخرجت مسرعة، نزلت إلى غرفة مكتب المدير محاولة فتح الباب، حضرت هيا وهند ومهند إلى نفس المكان، تعاظم دقات قلبها كأن هناك قنبلة موقوتة ستنفجر عليهم، بعد عدة محاولات فتح الباب، وصل زميل هيا وبمساعدة فالح حملوا الأغراض للداخل، بعدما تم التعارف مع الأستاذ مهند قال:

- أنا سيف مهندس للبرمجة

رحبوا به وطلبت هيا أن يتلف برمجة الكاميرات بعد أن شرحت له حقارته.. دخل غرفة المكتب بلمحة واحدة عرف أماكنها:

- المنظومة ليست موجودة بغرفة المكتب
- وهذه الأزرار كيف تفك شفرتها

مهند يهمس ل هيا:

- علينا أن نفتش بأدراج المكتب صوري كل الأوراق، وإن كنتِ واثقة بالأستاذ سيف، يحتفظ بها لحين موعد محاكمته، وأنا سأفتح غرفة نومه، تذكرت الشاشة هناك المنظومة عليك إتلافها تعالى معي فتح الباب، علينا بالإسراع قبل أن يحضر أحد أو ربما يفاجئنا بحضوره

صورت كل شيء مهم أو غير مهم وهي تقرأ بعض الأوراق، انصدمت؛ فهناك العديد من المدرسين والعاملين يساعدونه بالتهريب والتعذيب قالت بنبرة حزينة:

- سحقا لكم! جاء اليوم الذي تطردون، وما زرعتم تحصدون

المهندس كان ذكيا جداً، أتلف المنظومة بالكامل، ووجه الكاميرات تصور سقوف الأماكن فقط، بعدها نصب كاميرا داخل غرفته وغرفة المكتب، انتهت هيا، أما الفتاتان، بحثتا في أدراج المدرسين والمدرسات، وضع جهازا للتصنت داخل غرفته ومكتبه والقاعة الكبيرة وسر جدرانها، كان هناك رموز على الحائط ربما لم ينتبه لها، كأنها رأت تلك الرموز حاولت أن تتذكر، حضر فالح وبيده فنجان قهوة للضيف، وقال:

- ما شاء الله الجو رائع عند الشاطئ

تذكرت شيئا راح من بالها، أنها نفس الرموز..

- يا إلهي كيف لم أنتبه إنها حروف اسم والدتي يا إلهي ساعدني..

تسارعت دقات قلبها الصغير، أول حرف من اسمها، وأرقام لا تعرف ماذا تقصد والدتها، فتحت هاتفها وجدت صورة الصخرة حين صورتها كانت هناك رموز إنها نفس تلك الرموز

- تعالى يا مهند هذه الأرقام هي نفسها!! إنها رسالة، الآن فهمت هذه كانت رسالة والدتي ربما شعرت بخطر يلاحقها حفرت على الصخر أرقام رموز وحرف اسمها، كانت تجلس بالقرب من الشاطئ ربما القدر أخذني إلى هناك ليظهر لنا الله الحق، افتح هذا الباب السري لنرى إلى أي مكان يأخذنا؟!

كانت تملي عليه الأرقام الجميع، يقف أمام ذلك الجدار الذي يخفي وراءه جميع جرائمه، فتح الجدار، إنه مصمم على أحدث التقنيات، في البداية ممر عريض وطويل على كل ممر سهم كبير يشير يمينا ويسارا، فالح ومهند سارا في جهة اليمين وسيف والفتيات في الجهة اليسرى، وهناك باب صغير يطل على مطبخ الملجأ، عليهم بالإسراع لكشف المكان، اتصل مهند بالقاضي فتح كاميرا هاتفه؛ ليكشف له بعض حقائق الملجأ، انصدم الرجل مما شاهده، زنزانة انفرادية سلاسل وقيود، دماء في كل مكان من الحائط، تقزز من المنظر، ظل يمشي.. غرفة لحيوانات غريبة داخل زجاجات، أفاعي وعقارب، تعجب من المنظر كان بجانب الأفاعي أصوات تصدر من بعيد، خرجوا مسرعين لنفس المكان في الجهة الثانية، داخل الممر غرف نوم مجهزة بأحدث الأجهزة، وسائل ترفيهية أنه فندق درجة أولى للوزراء والمسؤولين من الدولة ينتهي بباب سري يخرجون منه، سياراتهم وحماياتهم، فتشوا الأدراج توصلوا بأن جماعة المدير كانوا يحضرون الأرواح، عثروا على الكتاب، كانوا يمارسون السحر والشعوذة، وكل ما هو بشع ومريب، صور المكان، اتجهت إلى ذلك الباب الصغير كان مغلقاً، سمعت صوت سعدية، وأم هند، تحدثت معهم من وراء الباب، وسألتهم إن كانوا يعرفون سر تلك الغرف، أجابت بالنفي، قالت أم هند:

- أريد الخروج والهروب من هذا المكان قبل وصول المدير
- لا تخافي وقع في المصيدة لا خوف بعد اليوم اطمئني، ننتظر عودته بفارغ الصبر

أغلق المكان بعد أن وضع جهازاً للتصنت داخل كل غرفة، وكاميرات لإدانته، دخلت مع الفتيات لغرفة نومه والحمام المجهز بأحدث الموديلات من سيراميك وساونا، لكنها تفاجأت بوجود عدسة مكبرة، وزر خلف المرآة داست على الزر، تحرك الجدار كان خلف الجدار غرفة فيها دولاب ملابس قديم، صندوق صور، ملابس قديمة، صرخت سمراء:

- إنها صورتك، كيف استطاع أن يأخذها إنها قديمة

عرفت أنه يحتفظ بصورة والدتي!!، أخذت أشياءها، نبهها مهند بعدم أخذ شيء من هذا المكان لأنه سيعلم بأن أحداً دخل إلى هنا، علينا الحذر سنُحرق جميعنا إنْ علم بأمرنا علينا أن نثأر لهم جميعاً هيا لنغلق المكان اخرجوا بسرعة لم يبق لنا سوى القليل، اتصل بي أحد الأساتذة نبهني بأنهم يريدون العودة لكني أحاول شغلهم باللعب أسرعوا، أعاد كل شيء إلى مكانه، رتبت الفتيات المكان، أزالوا كل أثر يدل على وجودهم، خرجت وهي تمسح دمعتها، حضر القاضي صباح، تحدث مع مهند، وسيف، أشار إلى الكاميرات، سلم هاتف سِهام والطفل جلال إلى القاضي لعله يستطيع فك الرموز، سأل عن عودته، أخبره بأن غداً موعد وصوله، لنرى ماذا سيفعل غداً، نُراقب حركاته من خلال الكاميرات، دخلت هيا وقالت:

- سـيدي أنا سأكـون الطعـم أعطيه الأمان لأواجهه بحقيقته أريـد أن يعلم أني أعرف أسراره! سأكون زوجته المستقبلية على أن يطرد سِهام أمام الجميع سأخبر سِهام بأن حبيب قلبها يحاول التخلص منها كما فعل سابقا بالعديدات أمثالها، أعبث بعقولهم كما عبثوا بعقول غيرهم، عند عودته أحاول أن أغريه باهتمامي الزائد، إنها فرصتنا لكشف مخططاته

وافقها القاضي، أما مهند فقال:

- أخاف عليك منه، دائما أرقبه يفترسك بنظراته

طأطأت رأسها خجلاً ابتسمت قالت:

- لا تخاف لأني أعرف كيف أدافع عن نفسي وأنا طفلة أخذت دروساً في الكاراتيه

اتصل أحد المدرسين طلب من الجميع بالذهاب إلى أعمالهم ، إنهم عائدون، خرج القاضي وسيف معه، كلم مهند:

- أتمنى أن أراكم بخير

سمراء وهند صعدتا إلى الأعلى، سألت إحدى العاملات عن سِهام أجابتها هند بأنها متعبة وطلبت منا الاعتناء بالأطفال ومراقبتهم،

طلبت مساعدتهم بتحضير وجبات الطعام لهم، سألوها لماذا لم تخرج معهم قالت طلب مني معاون المدير مراقبة الملجأ.. سألتها سمراء:

- وهل راقبتِ الأماكن
- "ضحكت" الجميع في الخارج والحارس يحرس، أنا وظيفتي الاعتناء بالأطفال فقط، إنها ليست مهمتي
- إذن ماذا كنت تفعلين؟
- كنت أجلس مع والدتك وسعدية

أخذت نفسا عميقاً، سمراء تظن بأنها كانت تراقب تحركاتهم، خرجت هيا من الملجأ، سلكت طريقا غير طريقهم، جميع الطلاب والطالبات عادوا إلى أماكنهم، المدرسون والمدرسات مشغولون بإعادة الكراسي إلى القاعة قبل حضور المدير، الجميع كان مسرورا، سأل المعاون عن التصليحات شاهد بنفسه ما تم، كان فريق مهند يعمل بجد، بينما كان مهند مع هيا لتهيئة المكان بالكاميرات، تم تصليح مقاعد الطلبة، وكذلك إعادة ترميم جدار الدار، تم شكره على ما صنعه للملجأ، قال لست وحدي بل شبابنا هم قادرون على صنع المعجزات، بفضلهم تم ما تراه، جلست على تلك الصخرة بأناملها الرقيقة مسحت بيدها حروف اسم والدتها وراحت تحدثها:

- كلما كان يضيق صدرك تجلسين في هذا المكان، عقيمة هي ضحكتي، أضحت حالكة، خطف أمنياتي، ذبح بسمتي آه يا أمي كم أحتاجك؟ رغم عتمة أيامي بدونك، أحاول أن أرسم البسمة على شفاه الأطفال، أنا أعلم يا أمي، استغرق الظلم عقوداً في هذه الدار مستمرة رغم خوف يرافقني، صداع مخنوق أتعبني، يدفعون الفتيات ثمن رهانات قتل وبيع وتعذيب تحت الأنقاض.. يا بحر اكتم أسراري لأني أعاني من شتات الأفكار

غابت الشمس لتقول للبحر وداعا غدا موعدنا، عادت للملجأ دخلت كان المعاون جالسا في القاعة، تفاجأت أنه يملك مفتاحاً آخر، ابتسمت وقالت:

- كلما زاد عدد مفاتيح القاعة ازداد شكه بهم

سلمت وسألته عن المدير:

- اطمئني استلم جائزته، يحضر غدا وعلينا أن نحتفل غدا بقدومه، أين كنتِ لم أرك على الشاطئ
- سلكت طريقا آخر، جلست وحدي، كنت أشكو من صداع

نهضت سِهام من غيبوبتها وسألت الفتيات عن الوقت إجابتها سمراء حان وقت الغروب، تفاجأت:

- كيف لم أشعر بأحد من الأطفال
- إنهم معنا لم نخرج إلى الرحلة قلت لهند علينا مساعدة الخالة سِهام ربما تكون مريضة، جلسنا هنا مع هؤلاء الأطفال

نهضت الفتيات واعتذرن منها لأنهن مرهقات، شكرتهن، ضربت كفكها بكف صديقتها وقالت:

- نجحت الخطة

اتصل القاضي بمهند قال:

- وجدت عدة صور ومقاطع فاضحة للمدير من هاتف سِهام، وحدها الصور تدينه، لكننا نريد أن نمسك جميع من يساندونه من المسؤولين، في حوزتي عدة أرقام لوزراء متورطين معه، سهام كانت تصورهم دون علمه، كي تساومه إذا غدر بها يوما

قررت هيا أن تغتسل قبل وصول المدير، لكنها كانت خائفة من كابوس اسمه سهام، راحت تبحث في الأقسام عن هند أو سمراء لأنها لا تثق بغيرهن، استأذنت دخلت الغرفة، مجموعة من الفتيات يتهامسن فيما بينهم خوفا من مشرفات الملجأ عند دخولها اعتدلن في جلوسهن، تقدمت سمراء وقالت بصوت هادئ:

- نورت الغرفة

جلست بقربها، طلبت منها أن ترافقها، كانت تتجول بعينيها هنا وهناك همست بأذنها، تعالي، خرجت معها قالت:

- أريد الاستحمام لكني خائفة من الأرواح الشريرة، أنا لم استحم منذ قدومي للملجأ لأني أرى كابوساً يؤرقني، امرأة تستنجد،

وواحد يحاول قتلها خنقا، غير معروف، عديم الملامح، أريد منك الوقوف أمام الباب وإن حدث أمر مفاجئ بلغيني بسرعة.. نادي اصرخي

- حسنا.. اهدئي، حضري أغراضك وسأتبعك

ذهبت إلى غرفتها، أخذت بعض أدوات الاستحمام، خرجت من الغرفة، وإذا بتلك الروح الهائمة كأنها شبح، رمقتها بجانب عينيها، نسيم بارد رياح تقلب الماضي ككهوف مقفرة تخرج منها خفافيش سود، صرخت:

- أنا تعبت كفى..

كانت تحدث تلك الأرواح حضرت سمراء، هيا أنا أحرسك، دخلت الفتاة واقفة أمام الباب، قالت:

- ادخلي أنا أقف هنا أغني وإن انقطع صوتي معناها حدث شيء

اطمأنت دخلت، خلعت ملابسها وضعت مساحيق الصابون والفتاة تغني بصوتها العذب، كأنها تعلم بحدوث شيء، كانت تغتسل بسرعة كان الصابون يملأ شعرها، شعرت بأن أحداً معها حاولت بسرعة أن تغسل شعرها بالماء، انقطع الماء فجأة والفتاة ما زالت تغني، طلبت مساعدتها:

- سمراء انقطع الماء ماذا أفعل ما زال الصابون على شعري

- قالت سأحضر لك إبريقاً من الماء، لم يحصل هذا من قبل، أرجوكِ أسرعي

لبست ثيابها بسرعة رغم مساحيق الصابون لكن حاستها السادسة أتعبتها، ظلت تتمتم ما حفظته من آيات القرآن الكريم، تحاول أن تبعد الأرواح الشريرة، رغم برودة الطقس كان جبينها يتصبب عرقا، عاد الماء لحنفية الحمام جاءت سمراء:

- افتحي لي وخذي الماء،

- لا أحتاج، عاد الماء أرجوك اقرئي المعوذتين، وما تحفظينه الأرواح الشريرة تحوم حولنا، الغناء يجلب الشياطين

اغتسلت بسرعة، صرخت هيا، ارتدت بسرعة جلباباً طويلاً فتحت

الباب دخل ذلك الرجل العملاق ذو القفازات السوداء، حاول إدخال سمراء للحمام، كانت تصارع بين يديه، ضربته سمراء بعدة أشياء لتبعده عن هيا، انتبه لها، صفعها، لم تستطع مقاومته، أصوات تئن، طلبت المساعدة لا أحد يسمع، ظل يغطس رأسها بالماء يحاول خنقها، هجمت عليه تحاول أن ترى وجه، ضربها بقوة عادت إلى الحائط تقرب منها بصوت عال، كانت ترتل ما حفظته من آيات القرآن الكريم، كان يصرخ:

- كفاك أنا أتعذب

عادت هيا لوعيها، ظلت تردد:

- الله أكبر.. الله أكبر، إن كنت من الجن الكافر لعنك الله

هرب وهو يصرخ:

- إني أحترق

انهارت قواي، كنت أعلم بقدومهم، إني أرى هذا الكابوس منذ وصولي للملجأ، تصورت أنها والدتي، لم أكن أتوقع الذي رأيته قبل أيام أمام باب غرفتي هو الذي يريد قتلي، أنهم ليسوا وهما بل حقيقة!! ظلت الفتاة تغسل وجهها بالماء لتستعيد قواها ، الحمد لله على سلامتنا، فتحت هاتفها لتسمع سورة البقرة، اطمأن قلبها بذكر الله، حاولت أن تغتسل بعدما شعرت بذهاب تلك الأرواح المسكونة في حمامات الملجأ وهم يستغيثون لعنهم الله، خرجت من ذلك الحمام المشؤوم إلى غرفتها، طلبت سمراء البقاء معها أخاف عودته، اتصل زميلها مهند لمحت الساعة إنها الحادية عشرة:

- ألو كيف حالك

- لست بخير

- لا أستطيع الحضور أخاف عليك من كلام جميع العاملين في الملجأ، شعرت بأنك تحتاجين لمساعدة، أعرف عاملة كبيرة في السن لكني أثق بها، أرسلها لتبقى بقربك حاولي أن تهدئي..

- لن تصدق ما رأيت

- أنا أصدق كل شيء

قصت عليه الحادثة بالتفصيل، دعي الفتاة تذهب إلى غرفتها، صرخت سمراء:

- لا.. أريد البقاء معك، أنا خائفة، زميلاتي نائمات الآن

بعد نصف ساعة حضرت المرأة ومعها إبريق الشاي، وبعض البسكويت حاولت أن تلطف الجو قليلا، عرفت عن نفسها:

- أدعى ماما سعاد، أنتِ هنا سمراء، لماذا ترتعشين؟ خوفا أم بردا؟
- من الاثنين
- "ابتسمت" لا إله إلا الله، هيا إنها من عمل يدي تذوقوها

وزعت على جميع المدرسين والمدرسات، الجميع أحبها، جربوها اليوم أنا معكم، دعي هاتفك يرتل، حاولوا أن ترتاحوا لأن غدا موعد حفلة المدير منذ الصباح، وأنا وزميلاتي نحضر أصناف المعجنات، أتمنى أن تعجب الجميع، شكرت هيا ماما سعاد وراحت تسألها:

- منذ متى وأنتِ في هذه الدار؟
- نفس العام الذي حضرت سِهام وتلك الطبيبة
- وماذا تعرفين عنهما؟
- كانت إنسانة محترمة، كلما تسافر إلى مدينتها تهدينا بعض الهدايا، كانت عندما نمرض تساعدنا بتوفير الأدوية لنا، لديها الخبرة بعلاجنا، لكن سِهام تغار منها لأنها محتشمة ومديرنا كان يحاول أن يصطادها لم يستطع، حاول كثيرا، ظلت تقاوم خبثه لها، بمساعدة سِهام له قالوا انتحرت وأنا كنت أعرفها جيدا، كانت تخاف الله، ومن غير الممكن أن تحاول الانتحار، استطاع بشعوذته وممارسة أنواع السحر أن يتسبب في جنونها وقتلها

تمددت بفراشها، استعانت بالله، أغمضت عينيها، شعرت بظمأ، بللت ريقها ببضع رشفات من الماء، قالت في نفسها:

- في المرة السابقة طرق الباب وفتحت له، لماذا لم يحاول قتلي؟ حينها كنت وحدي، كيف تحدث معي وقال المدير يريدك، كان يستطيع دخول غرفتي إن كان جنيا أو شبحا!! دون جهد منه بطرق الباب،ماذا يحصل لي يا إلهي ساعدني، تعبت أشعر بالغثيان

غفت.. حل صباح جديد، الجميع يمارس عمله بجد، كان الجو غائما،
كئيبا، مهند ينتظر، الأفكار تنخر رأسه، اتصل ب هيا:

- ألا تخرجين؟
- بلى.. لكني أشعر بتعب، أهلك عقلي
- وأنا كذلك قلق عليك
- إذن سأكون في القاعة بعد قليل
- هل أنتِ خائفة من مواجهته؟
- لا ما دام الجميع معي ازداد بكم قوة فوق قوتي
- إذن هيَّا للاحتفال

ارتدت فستانا أحمر أبرز جمالها، اعتنت بتصفيف شعرها الأشقر وهو يتدلى على خصرها الرشيق كأنها لوحة لفنان ماهر أبدع في رسمها تقول في نفسها:

- سأكون ثابتة لا خوف.. لا قلق.. كمهرج يسير على حبل ثابت الخطى مغمض العينين..

رياح خفيفة في الخارج، أطفال يمسكون الورد له وهو يحصد رؤوسهم، أو يقايض بهم يبيع ويشتري باسم سفير السلام، مجرد من الإنسانية يحصد الميداليات بلقب سفير الإنسانية تناقضات في هذه الحياة العجيبة، توجهت إلى قاعة الاحتفال، الجميع يرمقها بنظرات إعجاب، ذهلوا لأناقتها وجمال محياها، ابتسمت لجميع الحضور وطلبت من ماما سعاد أحضار المعجنات، ها هو وصل ومعه لفيف من الصحفيين، شريط أحمر في بداية الطريق، المدرسون والمدرسات واقفون على الجهتين، أطفال يحملون له الزهور، حلويات تتناثر على رأسه، لو كان بيدي لطالبت بقطع رأسه، خطت خطوات باهتة وقلب يرتجف، تلعثم لسانها، قص الشريط، المصورون في كل مكان يصورون الملجأ، خطب المعاون خطبة نفاق، ظل يمدح المدير وهو يصدق كذبه، إنه يده اليمنى، مهند تقدم نحوها بهدوء كان يتحين فرصة للحديث معها، تفنن في إشعال شرارة الحديث، انبهر

بجمالها وشخصيتها الساحرة، ينتقي الأحاديث ليظل يسمع صوتها، مبهوراً بأفكارها، يسمعها بكل حواسه، تقدم ببطء طلب يدها، تفاجأت مبتسمة:

- دعنا من هذا الحديث الآن علينا أن ننفذ خطتنا
- أريد جوابا الآن إذا كان قلبك فارغاً وأكون سعيد الحظ

هربت من عينيه بحركة لعبت بهاتفها:

- أنا متفاجئة أمهلني، أنا لا أعرفك جيدا

رمقها من بعيد، لوح بيده للأستاذ مهند، تقدم مهند نحوه قبله وراح يهنئه، سأله:

- من تلك الفاتنة التي كانت تكلمك؟

شعر بالغيرة وأخذ يتصبب عرقا من الغضب وقال:

- إنها هيا..
- آه يا ويلي كيف نسيتها

تقدمت هيا تهنئه، ابتسمت له وأطالت في النظر، بدأت خطتها، أحضرت المعجنات له، شعر باهتمامها، فرح كثيرا، كان يفترسها كحيوان بنظراته، نزلت سِهام رأته مع هيا، شعرت بغيرة قاتلة لفارق السن بينهما، فهي شابة وجميلة وذات شخصية قيادية قوية، أما هي ما زالت تلك الخادمة التي تسير بأمره، سعدت هيا لرؤيتها مع المدير بهذا الوضع، كانت تريد أن تحرقها بشك مميت، تقربت أكثر، همست بأذن المدير بأنها متعبة من صوت الأغاني، جن جنون مهند لماذا تقترب منه! أمسك يدها، سحبتها بهدوء، قال:

- لا أريد احتفالا يكفي، أنا مرهق جدا، أشكركم جميعا
- "همس".. أريدك الآن في غرفة مكتبي

فرح كثيرا.. أنه ينتظر تلك الفرصة، قالت:

- اذهب وبعد قليل أتبعك

قلبه يرقص فرحا، أخيرا ستكون ملكي أنا، انسحب بهدوء، اتصلت بمهند، أجابها غاضبا:

- ماذا كان يقول لك هذا الحقير

- لا شيء

لتعرف مدى حبه لها تلذذت بغيرته العمياء:

- ماذا دهاك ألا تعلم بالخطة، علينا أن نهدم علاقته بسِهام وبكل أصدقائه الذين يساعدونه في أعمال الشر، سأزرع بقلبه بذرة الشك، إنها مفتاحنا لحل اللغز ومعرفة ماذا يجري خلف الأبواب المغلقة، أريد أن يثق بي، دعه يحبني، أخبرتك سابقا، أنا أستطيع أن أحمي نفسي منه، أبلغك لاحقا بكل ما يدور، لا تنس كاميرات مراقبتنا لتوثق كل شيء..

الفتيات يراقبن سِهام، اقتربت منها وهي تحدث سمراء عن إعجاب المدير بست هيا، قالت:

- ألم تلاحظي لهفة المدير وعينيه المشغولتين بها؟

احترق قلبها عند سماعها الخبر، ظلت تمازح سمراء لتسمع سِهام:

- أنا متأكدة بأن المدير اليوم يطلبها للزواج، إنه مفتونٌ بها

أمسكت هند من يدها قالت:

- ومن أين لك كل هذه الأخبار يا فتاة؟
- سمعته يقول لها اتبعيني لغرفة المكتب

ظلت تقهقه وتغيظها.. انصدمت حين سماعها الخبر، اتجهت لغرفة المدير دخلت دون استئذان، كأنها بركان قالت:

- أين الفتاة؟
- من؟
- هيا..
- ماذا تريدين منها
- سمعت أنك تريد أن تختلي بها
- شيء لا يخصك
- بل يخصني.. ألا تذكر ما وعدتني به قبل سفرك؟
- وأنا ماذا أجبتك، قلت لك حينها أريد الفتاة إنها جميلة جدا
- نفس نظراتك لتلك الطبيبة كنت تلاحقها وماذا جنيت منها.. لا شيء، قتلت نفسها لم تدعك تلمسها

طرقت الباب طلب من سِهام أن تخرج بسرعة وعدم فتح مواضيع قديمة، دخلت وقالت:

- كانت سهام مختفية طيلة غيابك، لم ألمحها أبدا

قاطعها وهو يدنو منها، أبعد خصلة من شعرها كانت على عينيها وقال:

- ما أجملك

أبعدت نفسها عنه وقالت:

- ما هذا يا أستاذ؟ أنت تتغزل في

ابتسمت له تحاول أن تراوغه بالأسئلة:

- وأنت إنسان محترم وهناك الكثير يتمنون رضاك
- لم أتمن شيئا مثل اليوم، اقبلي عرضي أجعلك ملكة لهذا المكان وأكون خادمك المطيع، أحبيني ولو قليلاً
- لكني لا أؤمن بالحب، يقولون عنك تعشق النساء، مزاجي وبعدها ترميهن في الطرقات

قهقه بخبث:

- أي طرقات؟ لا تصدقي
- لكنك عجوزٌ وأنا ما زلت في مقتبل العمر، ومهري غالي جدا
- أنا منذ ذلك اليوم الذي دخلت إلى الملجأ وأنا أعشقك صورتك لا تفارقني، أدعو الله أن تكوني لي، كأنه حلم وتحقق
- انتظر.. هذا الكلام لم تصدقه أذناي

حاول أن يتقرب منها دفعته بهدوء، وقالت:

- لا تحاول معي، أنا لا أحب الطرق الملتوية، أنا لا اقصد المال
- إذن ماذا..
- يقولون سِهام تعشقك، وأشعر بأنها لا تحبني أبدا، وهناك بعض المشرفات لا أرتاح لهن، إذا كنت تعشقني كما تقول ابعدهم عني.. لأني كلما أراهم أمامي أشعر بكآبة تحيط بي
- كل أوامرك مجابة

ضحك.. إنه غير مصدق ما يسمع، لكنها أكملت حديثها:

- أشعر بالغيرة إن تكلمت مع سهام مرة ثانية لا أسمح لها أن تشاركني بك، أنا أعرف كل شيء عنك لا تخف مني، حاول أن تجلس إن كنت تريدني زوجتك المستقبلية عليك إخباري ماذا يجري هنا أن كنت تحبني كما تقول
- لا يوجد شيء.. لماذا تشغلين أفكارك، إني أخاف عليك أكثر منهن، حاولي أن ترتاحي

تقربت منه، همست بأذنه:

- أحبك لأنك ذكي جدا، ساحر

انصدم لسماعه كلمة ساحر، فقالت له:

- هذا ما أشاعت به سهام بأنك تمارس أنواع السحر
- إنه مجرد كلام
- "نهض غاضبا".. حقا ما قالته عني تلك المجنونة الخرفة
- أكيد يا حبيبي
- تقولين حبيبي
- أنا لم أقلها
- بل سمعتك تقولينها لا تحرميني من سماعها
- أنا أخاف عليك أكثر منها، أخبرت الجميع بكذبها وتلفيقها، ألم تلاحظ كنت أخاف منك في اليوم الأول لكني اليوم تأكدت أنها تغار مني لإعجابك بي، أريد منك غدا أمام الجميع بطردها
- لكنها كبيرة في السن خدمت الملجأ بإخلاص كيف أطردها
- لكنها تقول عنك بأنك مزور قاتل، تسرق عذرية الفتيات الصغيرات، تدعوا الأغنياء لتقدم لهم حفلات رقص وشرب، الملجأ في الليل مكان للدعارة..
- "هاج كالثور".. هذه الحقيرة ماذا قالت عني أيضا؟
- قالت الكثير لكني أخاف عليك، قلت لها بأنك رجل ساحر وأنيق ضحكت وقالت بنبرة استهزاء بك، هو فعلا ساحر يفعل المستحيل ليصطاد الفريسة، كلما كان يثور تعود لتهدئته، ببعض كلمات الحب، سمعتها تتحدث مع المعاون عن الطرق

السرية داخل الملجأ أخبرتني بها، لماذا هي تعرف عنك الكثير؟ إن كنت تحبني حقا أخبرني بكل شيء لأساعدك في التخلص منها ومن ماضيك، حدثني أنا أسمعك

سرح عائدا بالذاكرة للخلف أعوام وأعوام، وكانت عيناه تلمع وكأنه يريد البكاء، قال:

- **كنت طفلا ذكياً لكني لقيط، وجدتني امرأة كبيرة في السن من حسن حظي كانت غنية جدا، كان هذا الملجأ داراً لها، جمعت فيه جميع المتشردين والأيتام واللقطاء أمثالي**

لم تنصدم لأنها كانت تتوقع كل شيء..

- **كانت تلك العجوز تحضر الأرواح كل يوم أحد، تعشق السحر والشعوذة، تعلمت منها الكثير، كانت تملك خزانة كبيرة لكتب السحر، درست وتعمقت بقراءتها، صرت من أشهر الأشخاص**
- **هل حقا تحضر الأرواح للمسؤولين، أتمنى أن أراك وقتها**
- **أخاف على قلبك الضعيف لا يتحمل تلك المناظر البشعة**
- **بل أعشق كل شيء تمارسه، السحر فن، أتمنى أن أراك وأنت تمارسه أمامي**

أمسك يديها الناعمتين وقال:

- **انظري لعيني**
- **لا أستطيع مقاومة عينيك، لأني أعلم حين النظر إليها أذوب فيها**

حاول أن ينومها مغناطيسيا شعرت بذلك فقالت له:

- **أريد منك شيئا واحدا.. ألا تستعمل معي السحر، دعني أحبك بطريقتي أنا لا بطريقتك أنت، ألا تريدني زوجة لآخر العمر؟**
- **بلى.. أتمنى**
- **إذن عليك أن تخبرني بكل شيء لأساعدك، لأحميك منهم**

اطمأن لكلامها، إنه في عالم آخر يحدث نفسه:

- **أيعقل بأني أملك كل هذا الحظ! تعشقني وهي بعمر الزهور، لكني أملك كل شيء، هي الجمال، وأنا السلطة والمال، إذن متعادلان**

نظر إليها وقال:

- ولكي أثبت لك حبي بعد منتصف الليل سيحضر رجل مهما بالدولة، سأجعلك تشاهدين قدراتي السحرية، لكن من باب آخر، لا أريد أحدا غيري يراكِ

قفز قلبها من الفرح، وقع في الفخ، حاول أن يقبلها لكنها قالت:

- أنا أخجل منك، أو لا أريد التعود عليك، وعندما أكون زوجتك أدللك، ودعته بقبلة هوائية من بعيد

خرجت ومهند يذهب يمينا ويسارا طولا وعرضا، يحسب لها أنها كانت معه أكثر من ساعة، اتصلت به قال:

- كل هذا الوقت مع رجل حقير

غضبت من كلامه إنها إهانة لها، قالت:

- حقير لنفسه، جعلته يطمئن لي أنا أيضا أملك قدرات سحرية
- طبعا فستانك الأحمر إنه مُغرٍ
- ماذا!!
- ألم يمسك يديكِ؟ أو تنفس عطرك؟ أو أمسك بخصلات شعرك بيديه؟
- ألم نتفق بأنه علينا أن نصطاده قبل وقوعنا في فخه، لماذا هذا الشك، أنت تعرفني جيدا، لِمَ تلك الأسئلة؟ إنك تجرحني بكلماتك
- آسف.. لا أعلم ماذا يحصل لي، كنت أظنه حبا لكني علمت الآن أني أعشقك

قالت وهي تمازحه..

- المدير هو الآخر اعترف لي بأنه يعشقني من النظرة الأولى

ازداد غيظه قائلا:

- متى يقع في المصيدة؟
- إنه وقع اليوم، اعترف لي بكل شيء

شرحت له ما دار بينها وبينه، ابتسم وقال:

- وقع بسرعة
- ألم اقل لك لم يستطع مقاومتي وقدراتي..

اتصل القاضي صباح بهيا:

- ألو أهلا بك سيدي..
- سمعنا كل شيء لا تخافي كلنا معك، نريد أن نقبض عليه متلبساً، كوني بالقرب منه، لا تفارقيه حتى منتصف الليل، كيف يا سيدي أنا خرجت من غرفته لأني اختنق، من الصعب أن أمثل دور العاشقة الولهانة، وأنا أنزف وجعا، لم يبق سوى ساعات قليلة، إنك تنقذين جميع الفتيات، حاولي أن تعرفي منه سبب اختفاء الفتيات، وإلى أي جهة تم بيعهن، لكن طبعا بفن حذاقتك.. نقطة ضعفه أنتِ وعلينا استغلالها جيدا ليقع في المصيدة

حاول أن يتصل بِسِهام كان هاتفها مغلقاً، طلب معاونه الأمين وبعض العاملين والمشرفات، استفسر عن أحوال الملجأ في غيابه، جاءه الرد من المعاون:

- كله تمام.. الجميع يا أستاذ كانوا تحت مراقبتنا
- أين سِهام؟

رد أحد العاملين..

- رأيتها تخرج من غرفتك يا أستاذ

كان يفكر بصوت مسموع..

- ربما هي من أغلقت هاتفها.. لا يهم، هناك صفقة كبيرة عليكم مراقبة جميع من في الدار، فتحي.. أريد منك عند التاسعة أن تزيد جرعة المخدر في الطعام لا أريد أحدا يفيق من نومه، لدينا عمل مهم في منتصف الليل حفلة كبيرة، وأنا ملك الحفل هذا اليوم، عليك أن تجهز لنا كافة الأطعمة الفاخرة
- كم عدد المدعوين يا سيدي؟
- عشرة من بينهم سفراء وشخصيات مهمة في البلد

أشار إلى أحد المشرفين..

- أنت اتصل بجماعتك من الراقصات والغانيات، أريد أن تكون الحفلة أسطورية، لا تنس سيكافئني الوزير بوسام الإبداع، أقول

وأنا مسرور جدا واليوم أعلن أمامكم باختياري لفتاة أحلامي التي فاجأتني بحبها وعشقها لي، أريد أن أستقر

قال أحد العاملين ممازحا:

- ستنتحر سِهام عند سماعها الخبر، كيف تتخلي عنها بسهولة؟
- لأنها جميلة ورقيقة، فاجأتني، تعرف كل ما يدور في الملجأ من تلك الخبيثة سهام، ولأنها تخاف عليّ طلبت مني بطردها، لكني سوف أعاقبها؛ لأنها لم تحتفظ بسري، اسجنوها في المعتقل، دعوها طعاما لكلابنا الجائعة
- فهمت قصدك سيفرح كلبنا كثيرا، أحدهم مسكين ذلك الحارس طلبها للزواج لكنها رفضته
- لأنها كانت تطمح بالزواج مني
- "قهقه".. عجوز خرفة

تعالت القهقهات، خرج كل واحد إلى عمله قال مبتسما: أراكم مساءً

دخل إلى غرفته اتصل بسهام وهو يتحدث بصوت عال:

- لماذا لا ترد ماذا جرى لها؟ أعذرها لأنها تغار من حبيبتي

لبس ملابس جديدة، تعطر بعطر فاخر، ذهب إلى غرفة هيا، كانت سهام تراقب حركاته، تأكدت بصحة كلام سمراء وهند، إنه متأنق، كيف كانت لا تطيقه! ماذا جرى ، ربما المال والمنصب غير تفكيرها ممول جيد، طرق الباب، فتحت رأته أمامها تفاجأت وقالت:

- أرجوك أستاذ كيف تجرؤ أن تأتي إلى غرفتي؟

كان ماسكا بعض الزهور:

- إنها لك..
- المشرفات والمدرسات سيلفقن القصص دعنا نخرج

أمسكت يده، لم يصدق كان وقتها كالطفل بين يديها قالت:

- أيعقل؟ هذا السافل يكون له قلب

بالغت كثيرا بجمال اختياره للملابس، ونوع العطر، كانت تعلم بوجود سهام لأن الفتيات أخبرنها بأنها تراقبهما، أبعدت يدها من ذراعه، نسيم بارد أثلج قلبها رمقها بجانب عينيه يبحث عن مفاتنها

بين أزرار كنزتها، يحاول أن يتقرب منها قالت:
- أرجوك كل شيء في وقته جميل
- اليوم يكون يوم سعدك
- "بغنج ودلع".. كيف؟
- سيحضر اليوم مجموعة كبيرة من السفراء والمسؤولين، لا أحد يعلم بالخبر، فقط الذين أثق بهم
- هل تحضر لهم الأرواح؟ كم أتمنى أن أراك، أنت تملك طاقة لا أحد يملكها سواك

أمسك يدها بقوة قالت:
- آلمت يدي
- آسف حبيبتي، أنت مثيرة أريد أن تلبسي أحلى ما لديكِ أهديكِ هذا الخاتم، ضعيه بإصبعك، سأعلن خطوبتنا أمام الوزير
- لا ليس اليوم دعني أرى قدراتك أولاً
- لكن اليوم يوم سعدي، اتفقت مع المشرفين والعاملين على أن يكون الحفل أسطورياً كأسطورة ألف ليلة وليلة، بعد قليل يصلون، اذهبي وتهيئي لأنك ستكونين زوجة رجل مهم، اتصلتُ بأفخم محل واخترت لكِ ملابس راقية للسهرة، صففي شعرك

انحنت برأسها موافقة، قالت:
- كم تمنيت أن أرى حفلا بهذا الوصف
- مع السلامة مؤقتاً

اتصل ببعض الشخصيات المهمة، لمح سِهام:
- تعالي يا غبية لماذا جهازك مغلق؟
- لأني فقدته بحثت عنه في كل مكان لم أجده
- كيف لم تجديه؟ هل كان يحتوي على شيء مهم؟

كان يمسكها من كتفها ويهزها وهي تتوسل أن يتركها:
- هل تشكين بأحد؟
- بالجميع.. الكل يكرهني بسببك
- أنا وما ذنبي يا تافهة من أنت لتهدديني؟

أمسكها من رقبتها أراد قتلها، أنقذها أحد العاملين قال:
- وصل مندوب من المدينة يريد أتعابه أحضر مجموعة فساتين
- خذ هذا المبلغ، وبعد تسليمه خذ الفساتين لغرفة هيا

فتحت فمها وهي ما زالت تختنق من قبضة يديه، قالت:
- اتفقت مع هيا؟ هل ما أسمعه صحيح؟
- ماذا سمعتِ؟
- بأنك ستتزوجها
- نعم سأتزوجها
- وماذا عني؟
- لا أستطيع الزواج منك
- لكنك وعدتني
- كل طلباتك مجابة لكن دعيني أعيش باقي عمري معها دون توتر
- أستطيع قتلك
- لكنك كنت ذراعي اليمين، أشتري لك بيتاً
- لكني لا أريد شيئا، أريدك أنت
- انسي الماضي اللعين، ابدئي من جديد بدوني
- لا أستطيع العيش بدونك، تحملت الكثير لأجلك

همست بأذنه كالمجانيين:
- هيا عشقت أموالك، أما أنا عشقتك، قتلت لأجلك العديد أنا وأنت من طينة واحدة، أما هيا لن تتحمل ما تراه
- بل أخبرتها كل شيء ارتاحي
- ظننت بأنك لن تخونني، اكتشفت أني حمقاء، ربما يكون فخاً

استدارت كي لا يرى ضعفها:
- أنا ذاهبة للبحث عن هاتفي لأن هناك مجموعة من صورك احتفظت بها

كانت هيا تتكلم مع مهند وهو أخبر جميع الأصدقاء بأن عليهم عدم الأكل من طعام الملجأ لأنه مخدر، كانت الساعة الحادية عشرة مساء، القاضي صباح وجميع الأمن منتشرون حول الملجأ توافدت

مجموعة سيارات، دخلوا من مكان آخر للملجأ، مكان سري وجراج تحت الأرض لمركبات الشخصيات البارزة، وطهاة من مطاعم خمس نجوم، دخلت سِهام من باب المطبخ تتلصص كعادتها، من ثقب هي صنعته بنفسها لترى عالما آخر، راقصات شبه متعريات ، مطربات، صوت قهقهات تملأ المكان، حضّرَ القاعة الكبيرة لتحضير الأرواح، حضر الطلاسم لترى قدراته، كانت هيا مذعورة، الحفل كبيرة وتخاف التورط في أشياء خارجة عن الإرادة هو ساحر متمكن اتصل بها مهند:

- هل تشعرين بالخوف؟
- نعم..
- عرفتك قوية نحن نسمع ونرى الشرطة في كل مكان
- ماذا تفعل الشرطة؟

طرق باب غرفتها فتحت الباب كأنها البدر في ليلة كماله وتمامه، كأنها لوحة من خيال كطوق مزهر، أنوثة طاغية، تملأ النفس بعطرها الفاخر، ارتدت فستانا أسود مطرزاً بنجوم كأنها قمر بين تلك النجوم، رددت العاملة ما شاء الله قمر يا ست، ابتسمت لها اتجهت إلى غرفة المكتب تنتظره هناك، جلست وقلبها يرتعد خوفا منه لأنها تدخل عالمه، عالم الفجور وانعدام الرحمة، كانت تستغفر وتسبح، فتح باب الغرفة، أذهل لجمالها بحمرة خدها، وتصفيف شعرها، عطرها، قال:

- أنت ملاك.. لست من البشر.. تعالي معي قبل حضور الضيوف
- أين مكانهم
- تعالي معي

سحبها من ذراعها بلطف..

- أمسكِ يدي، أحمل أعظم طاقة بالعالم، أمسكيها لا تخافي، أهديكِ بعضاً من طاقتي

انصدمت..

- لا أريد شيئا

- تريدين أن تشاهدي قدراتي السحرية، أهديكِ بعضاً من طاقتي

كان يرتدي طقما أسود، قميصٌ رمادي تحت سترته، كان أنيقا جدا، ضخم، أسمر، يهابه الجميع، يستطيع السيطرة على الأشياء بعينيه، كل حواسه يوظفها لخدمته

- إذن ما دمت مصراً دعني أرى
- انظري لعيني
- أخاف الغوص فيها

نظرت في حدقة عينيه قال:

- ماذا ترين
- أرى جبروتاً

أبعدت عينيها، تخشى أن ينومها مغناطيسيا ويعتدي عليها كباقي الفتيات، لم تكن تثق به، يلعب بخصلات شعرها وهو يشم عطرها ويقول في نفسه:

- هذا الجمال خلق لي وحدي، عليّ أن أصونها، أكاد أفقد صبري

ضغط على يديها وراح يقبلهما ويقول:

- أريد أن أتزوجك بأسرع وقت، لم أعد أتحمل
- إني أخجل.. أرجوك دعنا ندخل لعالمك الجميل، أريد أن أرى جبروتك وقوة سحرك، حضِّر لي جميع الأرواح التي قتلت في هذا الملجأ، إني أتلذذ بسماعهم هل تستطيع جلبهم لي، أريدك أن تحدثهم لأرى عظمة أعمالك بعدها أتزوجك..

فرح كثيرا لسماع خبر الزواج قال:

- إنها من فعالياتي أمام الحضور، وأمام الوزير، عليّ أن أحضر جميع الأرواح التي تسكن هنا

أخذها إلى ذلك الجدار في القاعة، عند الباب الصغير فتح الباب بضغطة على الأزرار، دخل وهو يمسك يدها كأنها من الملائكة دخلت خطأً باب جهنم، عاملين وعاملات، موسيقيين، راقصات كأنها في مطعم خمس نجوم، حضور مخيف، نساء، شخصيات بارزة في المجتمع، الكل يهنئه ويحسده لجمال خطيبته، لم تكن

تعلم أن هناك حضوراً بهذا الشكل المريب، وقف يرحب بالحضور، في الطرف الآخر مهند والقاضي ومجموعة كبيرة من رجال الأمن يطوقون المكان، كانت الكاميرات توثق، لم يشعر المدير بشيء لأنه كان مشغولا طول الوقت بالحفلة وحبيبته هيا، نسى العالم، نهض الوزير وأحد مساعديه، كرمه على جهوده في إنجاح خططهم، تعالت الضحكات والكؤوس في نخب الوزير والمدير، قالت هيا:

- يا حبيبي أبهجنا بقدراتك، هيا انهض
- يا أيها الجمع أريد منكم الصمت لتروا ما تريد أن تراه حبيبتي، ولو إنني أخاف على قلبها الصغير ألا يتحمل ما تراه أو تسمعه من أصوات، إلا أنها مصرة، من دواعي سروري أن أحضر لها ما تريده وتتمناه والذي يرى نفسه لا يتحمل وقلبه ضعيف ليخرج من القاعة وليسترح في القاعة الثانية، عليكم بكثير من الجرأة لتروا أشياء خارقة لم تشاهدوها في حياتكم، لكن إن ردد أحد منكم أي تلاوة من القرآن سيحرق نفسه بنفسه، أنصحكم لأن الخير والشر لا يجتمعان سيضر نفسه

ارتعد قلبها:

- يا إلهي كيف الهروب من هذه الورطة؟

ظلت جالسة في مقعدها، العديد منهم خرجوا للقاعة الثانية، أطفأ الأنوار، قالت في نفسها "يا إلهي".. فتحت كاميرا هاتفها؛ لتوثق الحفل، نزع سترته وقف في وسط ساحة القاعة، انزاح ستار عن جدار كبير، رسومات، ورموز، راح ينادي عليهم صاح بهم أصوات غريبة لحيوانات، أصوات أطفال ونساء حضروا وهو يتلذذ لسماع أصواتهم، صاح عليهم:

- هل ما زلتم تتألمون
- نعم نحن مسجونون بسحرك، من قتلك كيف قتلت

وقف عقلها من التفكير، إلى أن سمعت صوت والدتها تستنجد

- أنتَ من دفعني لقتل نفسي، تهجمت عليّ لكني لم أدعك تلمسني

أصوات لفتيات يصرخن:

- أنت من اغتصبتني

أشباح لرجال إنهم من الشياطين، فقدت وعيها انصدمت مما رأته وسمعته، لم تفق هجم المحقق ورجال الأمن عليه وعلى كل المدعوين، رجال الشرطة مسيطرون على الأماكن بمساعدة الأستاذ مهند، والقاضي صباح، ركض يبحث عن حبيبته بين المدعوين، وجدها مرمية تحت طاولتها، حملها طلب سيارة إسعاف، حملوها إلى أقرب مستشفى في المدينة المجاورة، شرح للطبيب المعالج حالتها وشرح له ما حدث، طلب منه أن يأخذها إلى مستشفى للحالات النفسية، تشاجر مع الطبيب قال بصوت عال:

- عالجها الآن وغدا آخذها

اتصل بشيخ معروف في البلدة ليذهب إلى الملجأ ويطرد تلك الأرواح الشريرة من الدار، ظل بجانبها لم يفارقها، قبض على الوزير وباقي حاشيته بترويج السحر والدعارة، أمسكوا كل من في القصر، وكل من شارك في الجرائم كالمعاون، وبعض المشرفات والمشرفين، لإدارتهم الفاشلة للملجأ، وبعض العاملين والعاملات كانت من بينهم سِهام، أقرت واعترفت بجرائمها مع المدير وعلى مساعدتها لجميع الشخصيات المهمة في البلد في ترويج الدعارة، حكم عليهم بالإعدام، وبعضهم بالسجن، كلا حسب جريمته، أما المدير كان مصدوما مما حدث، لم يتوقع ما حصل له، فقد عقله تماما، راح يهذي بأسماء الذين قتلهم ظلماً، ترحل إلى مستشفى الأمراض العقلية، كانت عقوبة السماء له بفقد عقله، طلب الشيخ من أحد المسؤولين هدم الملجأ وإعادة بنائه بمكان آخر لأن المكان لا تسكنه سوى الأرواح الشريرة، طلب من المسؤولين أن يكون المكان مقبرة لتلك الأرواح، أخبرهم بوجود سحر مدفون تحت الملجأ، وبعد البحث عرفوا أن المالكة لهذا القصر كانت تمارس أنواع السحر والشعوذة، قال علينا أن نحرر كل من يسكن هذه الدار، ونقلهم لمكان آخر نظيف طاهر، تبرع الشيخ الجليل من أملاكه بقطعة

أرض لجعلها ملجأ للأطفال والمشردين، قام بجمع التبرعات من وجهاء المدينة، أما هيا كانت في غيبوبة في مستشفى خاص كان بجانبها العديد من طلبتها وخاصة هند وسمراء وماما سعاد وحتى والدة هند، أما مهند كان يدعمها ماديا ومعنوياً، لم يكن يفارقها، يمسك يدها، يكلمها عن أحلامه، بعد ثلاثة شهور، حضر للمستشفى أبرز الأطباء العرب في الخارج شرح له حالتها النفسية وما أصابها، غير أساليب علاجها لأنها كانت بصحة جيدة، لا تشكو مرضا عضويا لم يمل يوما عاش على أمل أن تتحسن حالتها يوما وتعود كالسابق، بعد ستة أشهر تم بناء الملجأ بأحدث المواصفات، واختيار الأستاذ مهند لإدارة الملجأ، اختار عاملات وعاملين ومشرفات ومشرفين أكفاء رحماء، كما أضاف دروساً جديدة كالموسيقى والرسم والخط بجانب الرياضة، تحسنت حالة هيا بعدما

سمعت من مهند بتمام الملجأ، دعاها للوقوف بجانبه، قالت:

- نعم سأحضر قبل الجميع

اشترت له باقة ورد لأنه يستحق أكثر، وصلت قبل المدعوين من شخصيات المجتمع البارزة، استقبلها بحرارة، كانت شاحبة هزيلة فقدت قوتها بتناولها بعض الأدوية طيلة مرضها، قال:

- الحمد لله على سلامتك
- هل ما زلت تحبني؟ أم هناك امرأة شغلتك بغيابي،
- لا يشغل عقلي وقلبي سواكِ إني انتظرك

حضر الجميع، بدأ الاحتفال، كانت المفاجأة بطلب يدها أمام الجميع، أحضر الخاتم والشهود، تبرع الشيخ بعقد قرانهما لتكتمل فرحتهما، احتفل الجميع، تم زواجهما في الملجأ، أقاما مسكنهما قرب الملجأ، بعد عدة أشهر من الدراسة تخرجت الفتيات والفتيان والتحقوا بكليات ومعاهد، خصصوا مكانا لجميع الطلاب والطالبات بعد تخرجهم، مرت السنون.. رزقت هيا بفتاة جميلة وولد رائع كأبيه...

نشيج أنفاسي

جلست نحو النافذة تراقب الدروب، تصاعد من نشيج أنفاسها حرارة الشوق؛ لتشكل غمامة على زجاج نافذتها حجبت الرؤيا عن عينيها الغارقتين بالدموع، فجأة.. طرق الباب، إذا بزوجها حبيبها، عانقته بحرارة وعاتبته، شكت له ما جرى بعد غيابه عنها، وإذا بصوت طفلها يوقظها، صرخت.. أكان سرابا؟ تبا لك أيها الحلم وألف تب...!!

هـيـــــام

أعدت ترتيب المائدة، أشعلت الشموع، على وقع الموج ارتدت فستانها الأحمر الرقيق، وعطرها الفاخر الأنيق، جلست تنتظره على أريكة الشوق، لقد حضر! رمقته بنظرة من عينيها، أطاحته صريعا فَاجأها بسهم منه ليصيب قلبها، استدارت وهي تتجول بعينيها هنا وهناك، تقدم نحوها جذبها من يديها، ابتسمت مستهزئة..

- لا أحب لعبة المنعطفات

تعودت أن تخالف عاطفتها، رمقها بجانب عينيه وهو يحاورها، تعالي نعيد ترتيب أرواحنا، التي أنهكتها فوضى الرماد، لحظة شرود.. قالت:

- كل شيء جميل مرتبط بك، أحبك

أبحرت بفكرها حيث يكون ما هو رده، تفنن في إشعال شرارة الحديث معها، همس بأذنها لا أكتمل بدونك...

عاشقة الضوء...

فراشة بحثت عن توق دافئ، خالفت القوانين، لامست شعاعه...!!، اختلط عليها شوقه وإخفاقه.. نثرت أجنحتها له، صارت عكازا، لامست دفء يداه، اصطاد قلبها، التقط وميضها، حاولت الهروب، سالت الدموع بلون الحروف،فاجأها بحرقها،لم تشعر بنفاذ الوقت، أصاب قلبها، همت بالخروج من دائرته الضوئية المزيفة، تلاشت وهو يصفق، خرجت عن السرب.. ضلت طريقها، نشر العتمة في سمائها، حل اليأس بأيامها...

فستانها الأبيض

إني أخاف عليك من نبض الحياة، لا تسألني عن المسافات، عن الحنين، لم أعد قادرة على تحمل المزيد، تشتعل أشواقي تتجاهلني بالبرود كالجليد، جلست على أريكتها فوقعت عينها على صورة فستانها الأبيض، اعتدلت قليلاً وبدت على وجهها ابتسامة طغت على شحوب وجهها وآثار الإجهاد التي تعتليه، شردت بعيدا تحولت الصورة لمسرح من الأحداث، يروي قصصا متباينة الأشكال والمشاعر والألوان، لم تكن تلك الصورة سوى نقطة فاصلة بين

الحلم والواقع الذي تحول إلى معارك، فسرحت بخيالها وسط تلك المهازل، تضحك مرة وتبكي مرات تذكرت انتصاراتهما، تدمع إن تذكرت إخفاقاتهما، وأوجاعهما، تهز رأسها أسفاً على تلك المعارك التي كانت الخسارة فيها حليفتهما، واعتلي وجهها العجب، كأنه يتساءل وكيف أكملنا؟، دمعت عيناها وقت أن تذكرت المعارك التي تدور بينهما، وكيف كانت أصعب من تلك التي يواجهان فيها الحياة معا، تنفست نفسا عميقا وكأنها تلتقط أنفاسها بعد معركة حقيقية وليست معارك تدور في رأسها خفية، قالت: إنها حياة...

سرعان ما علت الابتسامة وجهها حين اقتحم أولادها مسرح الحياة هؤلاء الذين كانوا جائزة الدنيا وعوض الأيام ثمرة الجهد والشقاء بعد معارك مع الحياة استنزفا فيها كل قواهم وطاقاتهم بمنتهى الرضا... إلا أنهم اليوم يركنان إليهم إن عصفت بهما الحياة. يتكئان عليهم كعصا صنعوها من عناء الروح وإنهاك الأجساد...

عاودت الابتسامة وهي تنظر إلى نفسها في مرآتها قالت في نفسها:

- **ربما نشبه بعضنا البعض، فقد خضنا نفس المعارك وتجرعنا نفس كؤوس الصبر، وانتقلنا سويا من مرحلة الحلم الجميل لواقع لم نكن نحسب له حساباً، اجتزناه بالتغاضي والصبر تارة، وبالحب والتسامح والرضا بقضاء الله تارة أخرى، ها أنا امرأة تعشقه.. أخاف عليه كخوف الأم على صغيرها، لقد قست علينا الدنيا، وقسونا على بعضنا بما فيه الكفاية.**

وفجأة صوتٌ قطع خلوتها..

- **أمي.. أمي..**

ألقت على فستانها الأبيض نظرة أخيرة، محبسها الذي قضت فيه نصف عمرها وهي راضية...

الفهرس

الإهداء.....3

التعريف بالكاتبة.....4

اليوم الموعود.....6

رحلة إلى الهاوية.....35

أحلام مؤجلة.....52

غموض ملجأ.....77

نسيج أنفاسي.....131

هيام.....132

عاشقة الضوء.....133

فستانها الأبيض.....134